

خروشوف

عَن الحَرَكة العماليّة والشيوعيّة الثوريّة

خروشوف

عن الحركة العمالية والشيوعية الثورية

(من كلمات اعوام ١٩٥٦–١٩٦٣)

دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية
موسكو ١٩٦٣

Н. С. ХРУЩЕВ

О РЕВОЛЮЦИОННОМ РАБОЧЕМ И КОММУНИСТИЧЕСКОМ ДВИЖЕНИИ

(Из выступлений 1956—1963 г.г.)

На арабском языке

من دار الطبع والنشر

استجابة للعديد من رغائب القراء الاجانب، وكذلك اعتبارا لتنامي الاهتمام باهم قضايا الحركة العمالية والشيوعية الثورية المعاصرة، تصدر دار الطبع والنشر باللغات الاجنبية هذه المجموعة التي تشتمل كلمات لخروشوف تتناول حالة النضال الطبقي الراهنة في بلدان الرأسمال، ودور واهمية الاحزاب الماركسية-اللينينية (وهي تعمل الآن في نحو ٩٠ بلدا وتضم في صفوفها اكثر من ٤٢,٥ مليون شخص) في النضال من اجل دك سيطرة الاستعمار ومن اجل انتصار الاشتراكية، وضرورة وحدة الطبقة العاملة وتوطيد لحمة الحركة الشيوعية العالمية على مبادئ الماركسية-اللينينية.

ويولي هذا الكتاب القضايا النظرية المتعلقة بتطور الحركة الثورية مكانا مرموقا.

تحتوي المجموعة مقتطفات من كلمات لخروشوف نشرتها الصحافة السوفييتية في اعوام ١٩٥٦ - ١٩٦٣.

وفي الوقت نفسه تصدر مجموعات من كلمات خروشوف في جملة من قضايا العصر الجذرية الاخرى: «الاستعمار عدو الشعوب، عدو السلام»، «الاشتراكية والشيوعية»، «بصدد حركة التحرر الوطني»، «درء الحرب مهمة من الدرجة الاولى».

١ ـ عهد انتصار الماركسية-اللينينية

سمة زمننا المميزة الرئيسية

ان تحليل الوضع الدولي، كما كان نحو مستهل السنوات الستين من القرن العشرين، لا بد له ان يثير في نفس كل مكافح في الحركة الشيوعية العظيمة شعور الارتياح العميق والاعتزاز المشروع. وبالفعل، تجاوزت الحياة كثيرا، ايها الرفاق، حتى اوفر التنبؤات والآمال جرأة وتفاؤلا.

من قبل، كان من الشائع القول: ان التاريخ يعمل في صالح الاشتراكية. وكان المقصود في هذا القول ان الانسانية سترمي الرأسمالية في آخر المطاف الى المزبلة، وان الاشتراكية ستنتصر. اما في زمننا، فيمكن التأكيد ان الاشتراكية تعمل في صالح التاريخ، لأن المضمون الاساسي للتطور التاريخي الراهن انما هو قيام وتوطد الاشتراكية على النطاق العالمي.

في عام ١٩١٣، اي قبل ثورة اكتوبر باربعة اعوام، كتب زعيمنا ومعلمنا الخالد لينين يقول ان التاريخ العالمي ينقسم بوضوح، منذ «البيان الشيوعي»، الى ثلاث مراحل رئيسية: المرحلة الاولى، من ثورة ١٨٤٨ حتى كومونة

باريس (١٨٧١)؛ المرحلة الثانية من كومونة باريس حتى الثورة الروسية (١٩٠٥)؛ المرحلة الثالثة من الثورة الروسية. وانهى تعريف هذه المراحل بالكلمات التالية: «منذ ظهور الماركسية، جاءت لها كل من المراحل الكبيرة الثلاث من التاريخ العالمي بتأكيدات جديدة وبانتصارات جديدة. ولكن المرحلة التاريخية المقبلة ستحمل للماركسية، بوصفها مذهب البروليتاريا، انتصارا اروع ايضا» *.

هذه كلمات نبوئية. وقد تحققت بقوة مدهشة ودقة رائعة. فان العهد التاريخي الذي تنبأ به لينين بصورة عبقرية قد غدا عهدا جديدا نوعيا، مبدئيا في التاريخ العالمي. ولا يمكن لأي من العهود السابقة ان يصمد للمقارنة معه. لقد كانت تلك عهودا كدست فيها الطبقة العاملة القوى، وكان فيها نضالها الباسل، وان هز صرح الرأسمالية، الا انه كان لا يستطيع بعد ان يحل القضية الرئيسية، قضية انتقال السلطة الى ايدي الشغيلة. ان العهد الجديد يمتاز عن جميع العهود السابقة بانتصار الاشتراكية انتصارا عالميا تاريخيا ارسى اكتوبر ١٩١٧ بدايته. ومذ ذاك والمذهب الماركسي-اللينيني يحرز النصر الباهر تلو الآخر. والآن تتجلى قوته الكبرى ودوره المحوّل، لا في حدود بعض البلدان والقارات وحسب، بل ايضا في التطور الاجتماعي في جميع انحاء الدنيا...

والآن، وقد تشكل النظام الاشتراكي العالمي، وتنهض

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ١٨، ص ٥٤٧.

ثورات التحرر الوطني المعادية للاستعمار اعظم النهوض، من الضروري تحديد سير التطور العالمي لاحقا، تحديد افق التطور العالمي. وهذا امر يستحيل دون فهم جوهر ومضمون وطابع المهام الحاسمة في عصرنا فهما عميقا.

ان مسألة طابع العصر ليست ابدا مسألة مجردة، ليست ابدا مسألة نظرية صرفا. فبها يرتبط وثيق الارتباط الخط الستراتيجي العام والتاكتيك اللذان تنتهجهما الشيوعية العالمية وينتهجهما كل حزب شيوعي.

ان ايديولوجيي الاستعمار، بمن فيهم اعوانهم من معسكر الاصلاحية والتحريفية يعتمدون خاصة على تشويه طابع العصر الراهن. ان مثل هذا التزوير يبتغي هدفا معينا تماما: تضليل الجماهير الشعبية الغفيرة، وصرفها عن السبيل الثوري، وربطها الى عجلة الاستعمار، وتصوير الامر كأن الرأسمالية ليست في طور الاحتضار، بل تحقق ما يشبه تغلغلا «تطوريا» محسوبا سلفا الى الاشتراكية. وهذه هي النظرية السيئة الشهرة عما يسمى «تحول» الرأسمالية. ان المزورين يزعمون ان جميع طبقات المجتمع بأكملها لها مصلحة في هذا النوع من «التحول»، ولذا يزدهر السلام والانسجام الآن، على حد زعمهم، في احضان الرأسمالية. هكذا يصور الايديولوجيون البرجوازيون، والاشتراكيون-الديموقراطيون اليمينيون، والمحرفون المرتدون عن الشيوعية، العصر الراهن. وليس من باب الصدفة ان ايديولوجيي الرأسمالية يسعون الى الاستعاضة عن مفهومي «الرأسمالية» و «الاستعمار» بتعريفات ملفقة مثل «الرأسمالية الشعبية» او «دولة الرفاه العام».

ويقينا انه يجب علينا ان نفضح هذه المناورات التخريبية الايديولوجية ونعارضها بتعريفنا الماركسي-اللينيني العلمي للعصر. وهذا ضروري لنا لكي نحدد نسبة القوى تحديدا صحيحا، ونستغل الامكانيات الجديدة التي يكشفها العصر الراهن من اجل الاستمرار على دفع قضيتنا الكبرى الى الامام.

مع اي مقتضيات ينبغي ان يتجاوب التعريف الماركسي-اللينيني لعصرنا؟ ينبغي له ان يعطي فكرة واضحة عما يلي: اي طبقة تقف في مركز العصر وما هو المضمون الرئيسي للتطور الاجتماعي واتجاهه الرئيسي ومهامه الرئيسية. ثانيا، ينبغي له أن يشمل كامل المجرى الثوري، من قيام الاشتراكية حتى انتصار الشيوعية التام. ثالثا، ينبغي له ان يبين القوى التي تلاصق الطبقة العاملة الواقفة في مركز عصرنا، والحركات الداخلة في السيل العام المتجه ضد الاستعمار.

وفي المرحلة التي انتصرت فيها الثورة الاشتراكية في مجموعة كبيرة من البلدان، وصارت فيها الاشتراكية نظاما عالميا جبارا، واوشك فيها نظام الحكم الاستعماري على الانهيار التام، وغدا فيها الاستعمار في حالة التدهور والازمة، ينبغي ان يعكس تعريف عصرنا هذه الاحداث الحاسمة.

لقد جاء في تصريح الاجتماع * التعريف التالي للعصر:

---

* المقصود هنا اجتماع ممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠. (الناشر).

«ان عهدنا، ومضمونه الاساسي الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ألذي بدأته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، هو عهد النضال بين النظامين الاجتماعيين المتضادين، عهد الثورات الاشتراكية والثورات الوطنية التحررية، عهد انهيار الاستعمار وتصفية نظام المستعمرات، عهد انتقال شعوب جديدة وجديدة الى طريق الاشتراكية، عهد انتصار الاشتراكية والشيوعية على نطاق العالم كله».

ان هذا التعريف لطابع العصر الراهن من الممكن اعتباره مثالا على حل مهمة كبيرة ومسؤولة حلا خلاقا، وعلميا حقا. وقوة هذا التعريف تكمن في كونه يصف بصورة صحيحة المنجزات الرئيسية لحركة التحرر العالمية، ويفتح امام الحركة الشيوعية والعمالية آفاقا واضحة لانتصار الشيوعية على نطاق العالم كله.

ونحن اذ نعرف جوهر وطابع العصر الراهن كله، من المهم لنا اقصى الاهمية ان نوضح لانفسنا ما يلازم مرحلته الحاضرة من خصائص رئيسية وسمات مميزة. واذا تناولنا تقدير الحقبة التي عقبت اكتوبر، من وجهة نظر قواها المحركة الرئيسية، فان هذه الحقبة تنقسم بكل جلاء الى مرحلتين. المرحلة الاولى بدأت من انتصار ثورة اكتوبر. وكانت مرحلة توطد وتطور الديكتاتورية الوطنية للبروليتاريا، حسب كلمات لينين، اي ديكتاتورية البروليتاريا ضمن الحدود الوطنية لروسيا وحدها لا غير.

ومع ان الاتحاد السوفييتي أثر تأثيرا استثنائيا في الحياة الدولية منذ اليوم الاول من وجوده، الا ان الاستعمار كان يحدد مع ذلك، لدرجة كبيرة، مجرى العلاقات الدولية وطابعها. ولكن حتى في ذلك الحين تبين انه ليس في مقدور الاستعمار ان يحطم الاتحاد السوفييتي ويعيقه عن التحول الى دولة صناعية جبارة اصبحت حصن قضية التقدم والحضارة، ومركز جاذبية جميع القوى العاملة ضد النير الاستعماري والعبودية الفاشيستية.

والمرحلة الثانية في تطور العصر الراهن مرتبطة بنشوء النظام الاشتراكي العالمي. وهذا مجرى ثوري ذو اهمية عالمية تاريخية. فان ثورة اكتوبر قد حطمت سلسلة الاستعمار في حلقة واحدة. ثم تحقق شق سلسلة الاستعمار على طول جبهته. فاذا كانوا يتحدثون فيما مضى عن شق سلسلة الاستعمار في حلقة واحدة او في جملة من حلقاتها، فانه لم تبق الآن في الواقع للاستعمار سلسلة شاملة متواصلة الحلقات. فان ديكتاتورية الطبقة العاملة قد تخطت حدود بلد واحد وغدت قوة عالمية. ولم يفقد الاستعمار البلدان التي انتصرت فيها الاشتراكية وحسب، بل انه يفقد ايضا بسرعة جميع مستعمراته تقريبا. ومفهوم تماما ان تكون هذه الضربات والخسائر قد آلت الى تفاقم الازمة العامة للرأسمالية الى اقصى حد، والى حدوث تغيرات جذرية في نسبة القوى على المسرح العالمي لما فيه صالح الاشتراكية.

ان سمة زمننا المميزة الرئيسية تتقوم في كون النظام الاشتراكي العالمي يتحول الى العامل الحاسم في تطور المجتمع البشري.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. حول نتائج اجتماع ممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية. ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦١. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول. موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٦٢، ص ص ١٢ – ١٧) *

من المستحيل وقف حركة تطور الانسانية

لقد كان زمن ساد فيه النظام الاقطاعي في اغلبية بلدان العالم. ولقد كان هذا النظام، في حينه، عند ولادته، اكثر تقدما، بالقياس الى نظام الرق. وفي احشاء النظام الاقطاعي كانت تنشأ تدريجيا ظروف افضل من اجل تطور قوى المجتمع المنتجة. وآن الاوان واستنفدت الاقطاعية قواها. وفي احشائها ولد النظام الرأسمالي الذي كان اكثر تقدما بالقياس الى الاقطاعية. فان الرأسمالية دفنت الاقطاعية وطمرتها في القبر. صحيح ان العلاقات الاقطاعية لا تزال باقية في جملة من البلدان، ولكنه يمكن القول بالاجمال ان الاقطاعية، بوصفها نظاما، قد دفنت وطمرت. وتلك البلدان التي كانت

---

* الاستشهادات بالمراجع ترد وفقا للطبعات الصادرة باللغة الروسية.

الاولى في سلوك سبيل «دفن» هذا النظام قد كسبت في تطورها الاقتصادي. اما روسيا التي تأخرت بعض الوقت في مرحلة نظام الاقطاعيين والملاكين العقاريين، فقد خسرت بالقياس الى بلدان الغرب الاخرى من حيث تطور اقتصادها.

ولكن الرأسمالية ولدت تناقضات مستعصية ومحلها جاء نظام اجتماعي جديد، تقدمي هو الشيوعية، نظام ذو علاقات اجتماعية جديدة اطلاقا بين الناس، بالقياس الى الرأسمالية. ونحن مقتنعون بان الشيوعية ستنتصر لأنها تنشئ ظروفا وشروطا افضل لتطور القوى المنتجة في المجتمع، وتفسح المجال سواء لتطوير عموم المجتمع بكليته ام لتطوير كل فرد بمفرده باوفر الكمال والانسجام. ان الرأسمالية تناضل ضد الشيوعية، ولكنه يستحيل وقف حركة تطور الانسانية. وعاجلا ام آجلا بقليل، ستنتصر الشيوعية في العالم اجمع، وتدفن الشيوعية بالتالي الرأسمالية.

هكذا ينبغي فهم ما قلت. وليس المقصود ان احدا ما سيدفن آخر فعلا، بل المقصود تغير النظام الاجتماعي في سياق تطور المجتمع تاريخيا. وعندما نقول ان الشيوعية ستدفن الرأسمالية، فان هذا لا يعني اطلاقا، بالطبع، ان السوفييتيين، ان شيوعيي الاتحاد السوفييتي سيدفنون رأسماليي بلدان ما. كلا. ان الشيوعية تنتصر في الاتحاد السوفييتي، وفي طريق التطور الشيوعي تسير الآن كثرة من البلدان الاخرى. ان الشيوعية تنبثق من تفاني شعوب البلدان الاشتراكية في العمل والنضال لأجل حياة جديدة، افضل، لأجل حياة اوفى ما تكون عدالة وانشاء في الارض. هكذا تعلم الحياة ويعلم التاريخ: ان نظاما اجتماعيا اكثر

تقدما يحل حتما محل نظام آخر ولى زمانه؛ والنظام التقدمي يدفن النظام الذي ولى زمنه.

هكذا نرى الى حركة تطور المجتمع التاريخية. ولقد سبق لي وتحدثت غير مرة عن هذا، وتحدثت كذلك عندكم في الولايات المتحدة الاميركية عندما كنت هناك. نحن لا نفرض على احد بالقوة عقائدنا الشيوعية. ونحن نؤمن بان قوى جبارة ستنمو كذلك في اميركا، بل انها موجودة الآن هناك، وهي ما تنفك في رسوخ وتطور؛ وهذه القوى التقدمية التي تنضج في الشعب الاميركي نفسه، ستنتصر في نهاية المطاف. ومحل الرأسمالية التي تسود الآن في اميركا، سيقيم الشعب الاميركي نفسه نظاما اجتماعيا جديدا، وسيكون هذا النظام نظاما شيوعيا.

يمكن القول ان نظاما يتوطد يدفن نظاما آخر يستنفد قواه. ولا يمكن القول ان شعبا ما يدفن قسما من شعب آخر، فان هذا سيكون عملا وحشيا، وهذا يعني الحرب بين الدول. ان قضية انتصار نظام اجتماعي على آخر انما هي قضية نضال طبقي. فالطبقة الجديدة التي تتطور الآن وتقوى اي الطبقة العاملة، اي الشعب نفسه، هو بالاحرى الذي سيسود في العالم بما في ذلك الولايات المتحدة الاميركية.

(حديث مع الناشر الاميركي كولس. ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٦٢. مجموعة «يجب درء الحرب وصيانة السلام!». موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٦٣، ص ص ٥٠ ـ ٥١)

٢ ـ تفاقم التناقضات الطبقية والنضال الطبقي في البلدان الرأسمالية

نمو التضاد الطبقي

ان السلطة الفعلية في الدول الاستعمارية الرئيسية لم تتمركز قط في ايدي حفنة ضئيلة من الاحتكاريين كما تتمركز الآن. فان الاميركيين انفسهم قد سموا حكومة ايزنهاور بحكومة البزنس الكبير: وبالفعل فان اكثر من عشرين عضوا من اعضاء هذه الحكومة اما انهم كانوا من اصحاب الملايين أو انهم كانوا فى خدمة اكبر الشركات. وفي الحكومة البريطانية التي تتألف من ١٩ وزيرا، نجد ١٢، وزيرا مرتبطين مباشرة بالاحتكارات، وفي حكومة اديناور التي تتألف من ١٨ عضوا، نجد ١٢ عضوا يمثلون مباشرة التروستات والشركات المساهمة. ففي حكومات الدول الاستعمارية لا يتغير الا الاشخاص، ويحل هؤلاء من اصحاب الملايين أو صنائعهم محل اولئك، ولكنهم جميعهم يخدمون مصالح الاحتكاريين.

ان ايديولوجيي البرجوازية يتحدثون عن المساواة في المجتمع الرأسمالي. ولكن عن اي مساواة يمكن الحديث

هنا؟ لنر الى التركيب الاجتماعي في بلدان الرأسمالية. امامنا هرم فظيع من اللامساواة الاجتماعية. وعلى قمته، جفنة من طواغيت الصناعة والمال. وهي غارقة في الترف ومتخمة للغاية اشبه بالنبلاء المفسودين في زمن انهيار الامبراطورية الرومانية. في حين ان مئات الملايين من الناس، الذين يشكلون قاعدة هذا الهرم، محكوم عليهم بالحرمان وانعدام الحقوق. ففي الولايات المتحدة تملك حلقة ضيقة من الاغنياء اي واحد بالمئة من السكان قرابة ٦٠ بالمئة من الثروة الوطنية. وفي بريطانيا، ينحصر اكثر من ٥٠ بالمئة من الثروة في ايدي فئة من الناس لا تزيد عن واحد بالمئة من سكان البلاد.

ولنأخذ النظام الانتخابي في البلدان الرأسمالية. انهم يغيرونه ويكيفونه على الدوام لكي يؤمن الحد الاقصى من مصالح الاحتكارات ويشوه ارادة الناخبين الحقيقية. ومن الممكن ايراد مثال على ذلك من النظام الانتخابي الحالي في فرنسا. ففي الانتخابات الاخيرة، صوت للحزب الشيوعي ٣٨٨٢٢٠٤ ناخبين ولكنه لم يحصل الا على ١٠ مقاعد في الجمعية الوطنية. وفي الوقت نفسه، نال الحزب الرجعي «اتحاد الدفاع عن الجمهورية الجديدة» ٣٦٠٣٩٥٨ صوتا اي اقل مما نال الشيوعيون، ولكنه حصل على ١٨٨ مقعدا. أليست هذه ديكتاتورية الرأسمال الاحتكاري السافرة! أليس هذا ازدراء بارادة الشعب! ان الشغيلة يؤلفون الاغلبية الساحقة من الناخبين. ولكن أتراهم ممثلين في البرلمانات؟ أليس من الواقع انه لا يوجد اي عامل ولا اي مزارع صغير في كونغرس الولايات المتحدة، مع ان في

هذه البلاد اكثر من ٥٠ مليونا من العمال والمستخدمين والمزارعين الكادحين؟

ان البرجوازية الاحتكارية تستغل جميع الدوافع: الصحافة والراديو والتليفيزيون وغيرها من وسائل التأثير الايديولوجي، لتضليل الجماهير، وتعمية ادراكها، وشل ارادتها. فعن ارادة من مثلا تستطيع ان تفصح الصحافة التي يملكها المليونير هرست؟ عن ارادة واحدة فقط، ارادة الطغاة الاحتكاريين.

واكثر فاكثر، تستخدم البرجوازية البوليس والجيش في النضال ضد الشعب. فكم من دماء الشعب اهرقت في السنوات العشر الاخيرة في بلدان الرأسمال! ان عصا البوليس ورصاصه يشغلان مكانا اكبر فاكبر في ترسانة «حجج» الديموقراطية البرجوازية.

هذا هو «عالمهم الحر»، — انه مجتمع لا مكان فيه للحرية الحقيقية ولا للديموقراطية الحقيقية، مجتمع قائم على الاضطهاد واللامساواة الاجتماعيين والقوميين، على استثمار الانسان للانسان، على دوس كرامة الانسان وشرفه.

(عن برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. تقرير في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول. موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٦٢، ص ٢١٤–٢١٥)

ان اعداء الشيوعية في الخارج، الذين يتولاهم الذعر الشديد من نجاحاتنا، يعرفون اي نفور تثيره كلمة «العبودية» في نفوس الشعوب. ولكي يثيروا الكره، وان في نفوس قسم من الناس، ضد بلادنا، يسموننا، نحن السوفييتيين، «عبيد الشيوعية». انهم، كما ترون، يسلكون سلوكا فظا ولكنه بالمقابل بسيط، فيأخذون كلمة «عبد» ويقرنونها بمفهوم «الشيوعية». ولكنه ليس من السهل جدا الآن ان تجد هؤلاء الناس السريعي التصديق الذين كانوا من قبل يؤخذون بهذه الحيلة التي ينصبها اعداء الشيوعية.

واكثر فاكثر يتناقص عدد الذين ليس في وسعهم ان يفهموا ما هي العبودية وما هي الشيوعية ويميزوا بينهما.

ان العبودية، اذا تحدثنا عن تبعية الناس العبودية فعلا، ازاء ذوي السلطان، ليست عندنا، بل في البلدان الرأسمالية حيث الاحتكاريون يستثمرون اناس العمل بلا شفقة ولا رحمة. ولسنا نحن السوفييتيين عبيدا، بل أناس البلدان الرأسمالية هم عبيد الرأسمالية. لماذا؟ لأن جميع وسائل الانتاج، وكل ما يصنعه الناس بعملهم، لأن كل هذا عندنا من اجل المجتمع، كل هذا من اجل الشعب، بينا ثمار عمل الملايين والملايين من الناس في البلدان الرأسمالية تستأثر به حفنة ضئيلة نسبيا من الرأسماليين والاحتكاريين. واليكم واحدة من نتائج هذا: ان ارمينيا السوفييتية معمورة الآن بالنور الكهربائي. فلماذا هناك في البلدان الرأسمالية المجاورة لكم، حيث تعيش «شعوب

حرة»، كما يزعم ايديولوجيو الرأسمالية والاستعمار، لماذا هذه «الشعوب الحرة»، جاراتكم، تجرجر حياتها حقا وفعلا في الظلام؟ فهناك توجد «الحرية»! واي «حرية» هذه اذا كان الناس يعيشون في الظلام؟

ما هي الحرية في مفهوم البرجوازي، في مفهوم الرأسماليين والاحتكاريين؟ الحرية في مفهومهم انما هي حرية نهب الشعب الشغيل بلا رحمة ولا شفقة من قبل اولئك الذين يملكون الرأسمال، يملكون جميع وسائل الانتاج. هذه هي «حريتهم». اما نحن فنقول: هذه ليست الحرية من اجل اناس العمل، من اجل الجماهير الشعبية، بل خياة العبودية. ونحن ضد استغلال الرأسمال، استغلال وسائل الانتاج من قبل حفنة ضئيلة من المستثمرين. نحن اخصام حازمون لهذا النظام الذي يستثمر فيه الرأسماليون والاحتكاريون بلا هوادة اولئك الذين لا يملكون الا ايديهم العاملة، ويعيشون من عملهم الشريف؛ نحن اخصام اولئك الذين يعتصرون من ملايين جماهير الشغيلة جميع القوى بما في ذلك آخر نقطة من الدم، ويعتصرون العرق لكي يزيدوا رساميلهم، لكي يغتنوا هم بالذات.

(كلمة في الجلسة الاحتفالية بمدينة يريفان لمناسبة الذكرى السنوية الاربعين لاقامة السلطة السوفييتية وانشاء الحزب الشيوعي الارمني. ٦ ايار (مايو) ١٩٦١. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٨٢-٨٣)

ان التطور الاجتماعي يؤكد بكل مجراه ان تناقضات الرأسمالية في زمننا تزداد تأزما وان قروحها تتجلى بمزيد من القوة. انظروا الى ما يجري في الولايات المتحدة الاميركية. هناك الآن اكثر من ٧ ملايين عاطل عن العمل: ٥,٤ ملايين عاطل عن العمل كليا ومليون و ٧٠٠ الف عاطل عن العمل جزئيا. وهذه معطيات اميركية رسمية. واذا كانت تخالف الحقيقة، فانها تخالفها في اتجاه التقليل.

ان عمال الجيل الاكبر الذين تأتى عليهم ان يعملوا في صالح الرأسماليين يتصورون بصورة ملموسة ما يعنيه كون المرء ضحية البطالة. ان بعضا منهم كانوا هم انفسهم عاطلين عن العمل ويعرفون ما هو وضع الانسان الذي فقد العمل: ياتي الى العائلة، العائلة تنتظر اجرته، تنتظر المأكولات، بينا العاطل عن العمل لا يستطيع اعطاء هذا. ان البطالة انما هي مأساة للشغيلة. وهناك في اميركا، غالبا ما يأخذ العمال البضائع وسلع المعيشة بالدين. ولتسديد الدين، يجب على العامل ان يشتغل. واذا فقد العمل، يأتي الدائنون، ويأخذون الاشياء حاكمين على عائلة العاطل عن العمل بحياة العوز والفقر.

ووقت ينخفض الانتاج، ويغدو في البلاد ملايين العاطلين عن العمل وعدد كبير من الجياع، ويعيش الكثيرون من الشيوخ والكبار والاولاد بما لا يسد جوعا، في هذا الوقت بالذات تختنق الولايات المتحدة الاميركية بفيض من المنتوجات الزراعية. ويفكر الاحتكاريون بما يفعلونه بهذه المنتوجات. اما الانسان البسيط الذي يعيش في بلد اشتراكي، فالامر واضح بالنسبة له: اذا كان ثمة فيض

من المنتوجات، فلماذا لا تعطى للذين لا يستطيعون اطعام عائلاتهم.

ان الاحتكاريين يفكرون بطريقة اخرى. انهم لا يعطون المحتاجين هذه المنتوجات، بل يفضلون ابادتها لكي يحافظوا على الاسعار العالية في السوق. وهذه هي بالضبط تناقضات الرأسمالية بمظهرها العاري. ولا يمكن القضاء باي اقوال واي وعود واي صلوات على ما في طبيعة الرأسمالية بالذات، اي على تناقضاتها التناحرية. وعندما تأتي الاشتراكية، الشيوعية محل النظام الرأسمالي، عند ذاك فقط تمحى التناقضات التناحرية.

(في الصداقة المتينة التي لا تتزعزع بين الشعوب قوتنا وضمان النجاحات المقبلة للشيوعية. كلمة في اجتماع طليعيي الزراعة في جمهوريات ما وراء القفقاس بمدينة تبيليسي. ٧ شباط (فبراير) ١٩٦١. مجموعة «بناء الشيوعية في الاتحاد السوفييتي وتطوير الزراعة»، المجلد ٤. موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٦٣، ص ص ٤٥٤ – ٤٥٥)

ان نهب أناس العمل من قبل المستثمرين هو قانون الحياة في البلدان البرجوازية التي تسمي نفسها «العالم الحر». وأناس العمل يجدون انفسهم عاجزين امام كلية سلطان الرأسمال. هناك فيض من المنتوجات الغذائية بينما

العاطلون عن العمل يجوعون. ففي الولايات المتحدة الاميركية، مثلا، اكثر من ٧ ملايين عاطل عن العمل. والناس الذين يعيشون فيما يسمى «العالم الحر» من عملهم مضطرون، في حالات غير نادرة، الى الجوع، الى احتمال بؤس مصير العاطل عن العمل الذي لا مال عنده لشراء الضروري الضروري.

ان الانسان هناك، اذا كان عنده مال، يستطيع ان يشتري بحرية كل ما هو بحاجة اليه. ولكنه اذا فقد العمل، فانه لا يستطيع ان يحصل بحرية على العمل لأن هذا رهن بارادة الرأسماليين الذين تخصهم المعامل والمصانع. والمجتمع الرأسمالي لا يكترث بمصير الانسان الذي يبقى بلا وسائل للعيش لأن الدولة الرأسمالية تقوم على اسس الملكية الرأسمالية الخاصة.

(يجب رفع مستوى قيادة الزراعة. كلمة في الاجتماع الذي عقده بمدينة موسكو طليعيو الزراعة من منطقة الاراضي غير السوداء في جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفييتية. ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٦١. مجموعة «بناء الشيوعية في الاتحاد السوفييتي وتطوير الزراعة»، المجلد ٥، ص ٩٣)

ان وتيرات التطور الاقتصادي في النظام الرأسمالي تتباطأ، وتكاد لا تسبق في جملة من البلدان نموعدد السكان، والازمات الاقتصادية تتواتر بفترات اقصر ولا سيما في

الولايات المتحدة. وغدا الانتاج من اجل الحرب العنصر الدائم في الاقتصاد. وتضخمت العسكرية بمقاييس هائلة. فان ١٥ ــ ٢٠ بالمئة من الدخل الوطني ينفق على التسلح. وقسم ملحوظ من اليد العاملة لا يستخدم لانتاج الخيرات المادية. ويكتسب العجز الدائم عن تشغيل الجهاز المنتج مقاييس اكبر فاكبر. وفي زمن الازمات، يبلغ العجز عن تشغيل الطاقات الانتاجية في جملة من الفروع ٥٠ بالمئة. وفي كثرة من البلدان، تحولت البطالة الجماهيرية، فضلا عن فيض السكان في الريف، الى كارثة وطنية حقيقية. ويستفاد من معطيات الاحصاء الرسمي ان في البلدان الرأسمالية المتطورة في اميركا الشمالية واوروبا الغربية وكذلك في اليابان واوستراليا ٨ ــ ١٠ ملايين عاطل عن العمل كليا من اصل ٨٥ مليونا من البروليتاريين الصناعيين. وهذا يعني ان واحدا من كل تسعة اشخاص، بصورة متوسطة، هو عاطل عن العمل.

(عن برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ص ١٥٧ـ١٥٨)

ان الطبقة العاملة في الولايات المتحدة الاميركية تشكل فعلا الاغلبية، ولكن الطبقة العاملة في بلادكم لا تملك السلطة، لا تملك وسائل الانتاج، لا تملك محطات الاذاعة. ففي أيدي من هذا؟ كل هذا في ايدي اغنياء الناس،

الاحتكاريين، وفي ايديهم كذلك كل الصحافة تقريبا. وهم يصوغون الرأي العام بواسطة الراديو والتلفزة والكتب والجرائد والسينما. وجميع وسائل التأثير السياسي والاقتصادي والاخلاقي في الانسان موجودة في ايدي الرأسماليين، واغنى الاحتكارات. وهم لا يزالون بعد يستغلون كون الوعي الطبقي لدى قسم كبير من العمال الاميركيين لا يزال على مستوى غير عال، ويلاحقون الذين يتبنون افكارا تقدمية، ويؤثرون بجميع الوسائل في الناس، ويضطرونهم الى التصويت للمرشحين الذين يطبقون سياسة في مصلحة تلك الاحتكارات بالذات. يجب القول ان الرأسماليين في الولايات المتحدة قد لفقوا ويطبقون ديموقراطية حاذقة لا تزال تضلل ملايين الناس. ولكنه سيأتي زمن تفهم فيه الطبقة العاملة وتعي قوتها، وآنذاك ستصوت فعلا، ولكن كما توحي لها مصالحها الطبقية. ان الطبقة العاملة ستقول: انا السيدة، واني اخلق جميع القيم ولهذا يجب توزيعها في مصلحة الشعب كله، وقبل كل شيء في مصلحة الذين يخلقون هذه القيم، في مصلحة الطبقة العاملة والفلاحين الكادحين، والمثقفين الشغيلة.

(حديث مع رئيس التروست الصحفي الاميركي هرست. ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧. مجموعة «في سبيل السلام الوطيد والتعايش السلمي». موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٥٨، ص ٢٩٧)

ان اشتداد حدة تناقضات الاستعمار يضع الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية امام محن جدية: فاما الاستسلام لرحمة الاحتكارات وجر اذيال الشقاء او النضال في سبيل حقوقها ومستقبلها. ان العمال يختارون النضال ويخوضون غماره بعناد وثبات.

لقد كان انبياء البرجوازية يبشرون بحلول عصر «السلام الطبقي». وكانوا يؤكدون ان عصر المعارك الطبقية قد اصبح في حكم الماضي وان النظرية الماركسية – عموما – قد ولى زمنها في ايامنا هذه. ولكن الحياة هزئت بلا رحمة من هذه التنبؤات. فنضال الشغيلة الاضرابي في نمو مستمر. وفي سنة ١٩٦٠ وحدها، اشترك في النضال الاضرابي اكثر من ٥٣ مليون انسان. ولسوف تدخل الى الابد في تاريخ الحركة العمالية، اضرابات الشغيلة الفرنسيين والايطاليين الواسعة واضراب العمال البلجيكيين، واضراب عمال التعدين الاميركيين الطويل الذي اشترك فيه اكثر من ٥٠٠ الف شخص، واضراب عمال صناعة الانشاءات الميكانيكية البريطانيين. واظهر بروليتاريو اليابان قوتهم الكفاحية اكثر من مرة.

وفي السنوات الاخيرة دخلت فصائل جديدة من الطبقة العاملة الى الميدان العالمي. ففي بلدان آسيا واميركا اللاتينية وافريقيا اكثر من مئة مليون عامل ومستخدم، اي قرابة اربعين بالمئة من مجموع جيش الناس الذين

يؤجرون عملهم في العالم غير الاشتراكي. وتبين الطبقة العاملة الفتية اكثر فاكثر انها قوة ثورية.

ان نضال شغيلة بلدان الرأسمال في سبيل حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية يزداد حدة. فالآن يقوم في وجههم، كقاعدة عامة، لا صناعيون متشتتون، بل احتكارات قوية، الى جانبها فضلا عن ذلك، كل قوة الدولة. وتكتسب حركات الشغيلة اكثر فاكثر طابعا سياسيا. ففي سنة ١٩٦٠، اشترك في الاضرابات السياسية اكثر من اربعين مليون شخص، اي ما يناهز ٧٣ بالمئة من مجموع عدد المضربين. وقد ادت الحركات القوية التي قامت بها الطبقة العاملة والجماهير الشعبية في سنة ١٩٦٠ الى سقوط الحكومات في اليابان وايطاليا وبلجيكا. وبالالتفاف حول الطبقة العاملة احبط شغيلة فرنسا محاولة العسكريين والمغرقين في الرجعية لفرض النظام الفاشي على البلاد.

ومن الصفات المميزة ايضا للوضع الاجتماعي الذي تكوّن في السنوات الخمس المنصرمة في البلدان الرأسمالية الكبرى، تصاعد حركة الفلاحين. ففي فرنسا وايطاليا والمانيا الغربية وغيرها من البلدان، تؤدي سيطرة الاحتكارات الى خراب الفلاحين واذا هم يزدادون اشتراكا في النضال ضد الاحتكارات.

(تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي امام المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي- المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ص ٣٢ – ٣٣)

ان الطبقة العاملة هي الطبقة الاكثر تقدما في المجتمع المعاصر، وهي المعبرة عن المثل العليا الحقيقية لاناس العمل والمناضلة الاكثر نشاطا في سبيل تحقيقها. لقد جاء هذا الزمن الذي نمت فيه صاحبة الجلالة الطبقة العاملة وتصلب عودها واحرزت من الانتصارات الى حد انها تستطيع ان تحدد مجرى التطور التاريخي في صالح السلام والديموقراطية والاشتراكية. ان القوى الجبارة للطبقة العاملة، قوى الاشتراكية، تزيح باستمرار العالم الاستثماري القديم.

ان العمال هم الآن على ارحاب شاسعة من كوكبنا اسياد مصيرهم ويبنون الحياة الجديدة بالتحالف مع جميع الشغيلة. وفي الوقت نفسه، ينهض الملايين من اخوانهم الشغيلة في البلدان غير الاشتراكية، ينهضون بعزيمة متزايدة ابدا الى النضال في سبيل حقوقهم ومصالحهم ويقوضون اسس النظام الرأسمالي، الاستثماري.

ان اي طبقة لم تحقق من الاعمال الكبيرة طوال تاريخ الانسانية قدر ما حققته الطبقة العاملة. ولقد برهنت الطبقة العاملة ان في مستطاعها لا ان تدمر العالم القديم، عالم الاستثمار والعنف وحسب، بل ان تبني ايضا مجتمعا جديدا، مجتمع الاشتراكية، مجتمع الحياة المؤمنة السعيدة الحرة للجماهير الشعبية.

انظروا الى بلادنا. في ٤٤ سنة من السلطة السوفييتية، حوّل العمال والفلاحون مع المثقفين السوفييتيين روسيا

المتأخرة سابقا، وجعلوا منها بلد صناعة طليعية وزراعة طليعية وثقافة عالية، بلدا يسير على رأس تقدم الانسانية. ان السبوتنيكات واللونيكات السوفييتية، والسفن الكونية العجيبة، واول تحليقين في التاريخ الى الفضاء الكوني قام بهما البطلان يوري غاغارين وغرمن تيتوف، ان كل هذا يعكس بصورة ساطعة جدا النهوض الجبار في القوى المنتجة والعلم والتكنيك، وازدهار عبقرية الشعب السوفييتي الحر الخلاقة.

ان الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي ومن ثم في سائر البلدان الاشتراكية قد بينت انها طبقة مبدعة، الطبقة بانية النظام الاجتماعي الاقتصادي الاكثر تقدما، الطبقة حاملة الثقافة الاسمى والحضارة الحقيقية. ان التاريخ يعطي جوابا واضحا عن السؤال التالي: اي طبقة في المجتمع تستطيع ان تؤمن للشعب السلام والتقدم الاجتماعي والازدهار والسعادة. ان هذا لا يستطيع ان يحققه غير الطبقة العاملة، والجماهير الشعبية، التي اخذت زمام السلطة في ايديها.

(خطاب في مؤتمر النقابات العالمي الخامس. ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦١. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد ٢، ص ص ٣٢٤-٣٢٥)

٣ ـ التطور الثوري في عصرنا

قوى الثورة العالمية. الظروف الملائمة لاتساع الحركة الثورية. الثورة الاشتراكية وحركة التحرر الوطني

ان العالم يمر بعهد من الثورات. **فان الثورات الاشتراكية والثورات الوطنية التحررية المعادية للاستعمار، والثورات الديموقراطية الشعبية، وحركات الفلاحين الواسعة، ونضال الجماهير الشعبية من اجل الاطاحة بالانظمة الفاشية وغيرها من الانظمة الاستبدادية، والحركات الديموقراطية العامة ضد الاضطهاد القومي، كل هذا يصب في مجرى عالمي ثوري واحد، يقوض الرأسمالية ويحطمه.**

وقد سلط مشروع البرنامج النور على طريقي تطور الثورة، السلمي وغير السلمي. وفي هذه المسألة، كما في جميع المسائل الاخرى، يتقيد حزبنا كليا بالمبادئ التي صاغتها الحركة الشيوعية العالمية بصورة مشتركة في بيان ١٩٥٧ وتصريح ١٩٦٠.

في العهد الراهن، نشأت **ظروف عالمية** اكثر **ملاءمة** لاتساع الحركة الثورية العالمية. وهذا مرتبط بالدرجة الاولى بتوطد قوى النظام الاشتراكي وتنامي نفوذه. فان

مثال الاشتراكية يؤثر تأثيرا قويا في اذهان الناس، ويجعل منهم مناضلين نشطاء في سبيل اقامة وترسيخ النظام الجديد. والشعوب، التي تنهض الى الثورة، تستطيع ان تعتمد على تأييد البلدان الاشتراكية في النضال ضد محاولات الرجعية العالمية تصدير الثورة المعاكسة. وفي مستطاعها ان تلقى المساعدة في جميع الميادين من جانب البلدان الاشتراكية من اجل بناء المجتمع الجديد.

وفي العهد الراهن، اصبحت **الظروف الداخلية** ايضا اكثر ملاءمة لانتقال بلدان جديدة الى الاشتراكية. وفي عداد هذه الظروف: اشتداد ضعف الرأسمالية بصورة عامة وتعمق تناقضاتها؛ نمو عدد افراد الطبقة العاملة ونمو تنظيمها وتلاحمها، وتعاظم تأثيرها في المجتمع؛ تكاثر عدد حلفاء الطبقة العاملة، الذين لهم مصلحة موضوعية في النضال ضد الاستعمار وتصفية جبروت الاحتكارات الكلي؛ نشوء وتوطد الاحزاب الشيوعية في جميع بلدان العالم تقريبا...

وفي العهد الراهن، يستمر التقارب والتشابك بين مهام الثورات الديموقراطية الشعبية، والثورات الوطنية التحررية، والثورات الاشتراكية. فقد ادى منطق التطور الاجتماعي الى اتجاه جميع هذه الثورات قبل كل شيء ضد العدو الرئيسي الواحد: الاستعمار، البرجوازية الاحتكارية.

ولا يندر ان يوضع السؤال التالي: في اي طريق ستتطور الحركة التحررية العالمية في المستقبل؟

بديهي ان المقدمات للانتقال الى الاشتراكية قد نضجت كليا في البلدان الرأسمالية العالية التطور. والدول الضعيفة التطور التي تغلي في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية

ستتمكن من الانتقال الى الاشتراكية اذا سارت الى النهاية بالثورة الوطنية التحررية المعادية للاستعمار. وفي العهد الراهن، يستطيع عمليا كل بلد، بصرف النظر عن مستوى تطوره، ان يسلك طريقا يؤول الى الاشتراكية.

ان الحركة الثورية العالمية تنتشر اوسع فاوسع شاملة جميع القارات. ان الاستعمار الذي لم يستطع في حينه القضاء بالحرب على اول دولة اشتراكية في العالم، قد حاول ان يفصلها عن بقية العالم «باحزمة صحية». ولكن الطاقة الثورية الكامنة في شعوب اوروبا وآسيا وسعت حدود الاشتراكية من نهر الالب حتى بحار الصين الجنوبية. وقد فعل الاستعماريون كل شيء لكي يحصروا الافكار الثورية في هذا النطاق. ولكن، لا الجبال ولا المحيطات تشكل عقبة امام افكار الحرية. والدليل الواضح على هذا، الثورة المظفرة في كوبا.

ان الشعب الكوبي المحب للحرية قد رفع راية الثورة الشعبية المعادية للاستعمار وطهر ارضه من الناهبين الاجانب واعوانهم. وتحت راية الثورة، انضوى العمال والفلاحون والمثقفون والفئات المتوسطة في المدن. وفي هذا، ينبوع من أهم ينابيع قوة الثورة الكوبية وضمانة تطورها اللاحق في طريق التقدم الاجتماعي. والآن اصبحت هذه الجزيرة الصغيرة الضائعة في البحار منارة للحرية لا ينطفئ نورها، منارة تنير طريق التقدم امام جميع الشعوب في اميركا اللاتينية.

كوبا بعيدة عن الاتحاد السوفييتي. ولكن شعبينا قريبان. ان قلوبنا معكم، يا ابطال كوبا، الذين تذودون عن

استقلالكم وحريتكم ضد الاستعمار الاميركي، والذين سجلتم على رايتكم الكفاحية اهدافا اشتراكية! ان شعبنا قد ساعد وسيساعد الشعب الكوبي الشقيق في نضاله المقدس من اجل قضيته العادلة.

وبقدر ما يقوى النظام الاشتراكي، وبقدر ما تتجلى مزاياه ازاء الرأسمالية اكمل فاكمل، وبقدر ما تتعاظم القوى الاشتراكية والديموقراطية في العالم بأسره، بقدر ما يزداد عدد البلدان التي ستسلك على اختلاف درجات تطورها طريق الثورة وتصب في نظام الاشتراكية، كما تصب الانهر في سيل غزير وجبار.

(عن برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الثـــاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ص ٢٢٧-٢٢٩)

ان الشعوب التي احرزت الاستقلال الوطني قد غدت قوة جبارة جديدة في النضال من اجل السلام والتقدم الاجتماعي.

ان حركة التحرر الوطني تسدد ضربات متعاظمة ابدا الى الاستعمار، وتساعد في توطيد السلام، وتسهم في تعجيل تطور الانسانية في طريق التقدم الاجتماعي. وان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية في الوقت الحاضر انما هي بؤر فائقة الاهمية للنضال الثوري ضد الاستعمار. وفي مرحلة ما بعد الحرب، ظفر زهاء ٤٠ بلدا بالاستقلال الوطني.

وانفلت قرابة مليار ونصف مليار من البشر من العبودية الاستعمارية.

ولقد لاحظ الاجتماع بكامل الصواب ان انهيار نظام العبودية الاستعمارية تحت ضغط حركة التحرر الوطني هو الظاهرة الثانية من حيث الاهمية التاريخية بعد تشكل نظام الاشتراكية العالمي.

ان صفحة جديدة رائعة تنفتح في تاريخ الانسانية. ومن السهل على المرء ان يتصور اي اعمال جليلة ستنجز هذه الشعوب عندما تطرد الاستعماريين كليا من بلدانها، وتشعر بأنها سيدة مصيرها. وهذا ما يكثر الى حد هائل من القوى التقدمية عند الانسانية.

خذوا، مثلا، آسيا، مهد الحضارة الانسانية العريق هذا. اي قوى لا ينضب لها معين تنطوي عليها شعوب هذه القارة. وهل بدور أقل يمكن ان تضطلع في حل المهام التي تجابه اليوم الانسانية، الشعوب العربية ذات التقاليد البطولية، بله جميع شعوب الشرقين الادنى والاوسط التي تحررت او تتحرر من تبعية الاستعمار السياسية والاقتصادية؟

ان يقظة شعوب افريقيا ظاهرة من ظاهرات عصرنا الرائعة. فان عشرات الدول في افريقيا الشمالية والوسطى قد نالت الاستقلال، وجنوب افريقيا بدأ يعصف، ولا ريب في ان السجون الفاشيستية ستنهار في اتحاد جنوب افريقيا، وتستقل روديزيا واوغنده وغيرهما من مناطق افريقيا.

ان قوى حركة التحرر الوطني تتكاثر بدرجة هائلة نظرا لأن جبهة اخرى للنضال النشيط ضد الاستعمار

الاميركي قد نشأت في السنوات الاخيرة. هذه الجبهة صارتها اميركا اللاتينية. فمنذ وقت قريب جدا كانت هذه القارة الشاسعة تنحصر في مفهوم واحد: اميركا. وكان هذا المفهوم يعبر الى حد كبير عن مضمون مفاده ان استعمار اليانكي قد قيد اميركا اللاتينية بيديها ورجليها. اما الآن فان شعوب اميركا اللاتينية تبين بنضالها ان القارة الاميركية ليست ملكا للولايات المتحدة الاميركية. ان اميركا اللاتينية تشبه بركانا ثائرا. وان حمم النضال التحرري قد كنست الانظمة الديكتاتورية في جملة من بلدان اميركا اللاتينية. وفي العالم بأسره قصف رعد الثورة الكوبية الباسلة. ان الثورة الكوبية لا تصد ضغط الاستعماريين وحسب، بل تمضي سعة وعمقا، وترمز الى مرحلة جديدة، اعلى، في النضال التحرري الوطني، مرحلة يصل الشعب الى السلطة، ويغدو الشعب نفسه سيد ثرواته. ان التضامن مع كوبا الثورية ليس واجب شعوب اميركا اللاتينية وحسب، بل هو ايضا واجب البلدان الاشتراكية، والحركة الشيوعية العالمية جمعاء، والبروليتاريا في جميع انحاء العالم.

ان حركة التحرر الوطني انما هي حركة معادية للاستعمار. ومع انهيار نظام المستعمرات، غدا الاستعمار اضعف من ذي قبل بكثير. فان مساحات شاسعة وجماهير غفيرة من البشر قد كفت او هي تكف عن ان تكون احتياطيا له، ومصدرا للخامات الرخيصة ولطعام المدافع. وبتأييد الدول الاشتراكية وجميع القوى التقدمية العالمية، تنزل بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية الهزائم اكثر فاكثر بالدول والاحلاف الاستعمارية...

ان تجديد العالم على مبادئ الحرية والديموقراطية والاشتراكية، ان هذا التجديد الذي نشترك فيه نحن، انما هو تطور تاريخي كبير تتحد فيه وتتفاعل مختلف الحركات الثورية والديموقراطية، مع العلم ان الثورات الاشتراكية تمارس التأثير الموجه. فان نجاحات حركة التحرر الوطني مشروطة الى حد هائل بانتصارات الاشتراكية وهي بدورها تعزز المواقع العالمية للاشتراكية في النضال ضد الاستعمار. على مثل هذا المفهوم اللينيني حقا لهذه التطورات التاريخية، ترتكز سياسة الاحزاب الشيوعية والدول الاشتراكية، الرامية الى تمتين التحالف الوثيق مع الشعوب التي تناضل من اجل الاستقلال او التي احرزته.

يزعم الساسة البرجوازيون والمحرفون ان حركة التحرر الوطني تتطور بصرف النظر عن نضال الطبقة العاملة في سبيل الاشتراكية، وعن تأييد الدول الاشتراكية، وان المستعمرين هم الذين يقدمون الحرية هدية لشعوب البلدان المستعمرة سابقا. ان امثال هذه التلفيقات تروج من اجل عزل الدول المستقلة الفتية عن بلدان المعسكر الاشتراكي ومن اجل تقديم البرهان على انه ينبغي لهذه الدول، على ما يزعم، ان تضطلع في المسرح العالمي بدور ما يسمى «القوة الثالثة»، لا ان تعمل ضد الاستعمار. فهل ثمة حاجة الى القول ان امثال هذه المحاكمات تدجيل بتدجيل.

وانه لواقع تاريخي ان الشعوب لم تفلح، قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى، في تحطيم سلاسل نظام الحكم الاستعماري. وقد بين التاريخ انه، دون قيام الاشتراكية

وتوطدها وان في قسم من العالم، ما كان في المستطاع ان يدور الكلام حول القضاء على نظام المستعمرات.

ان الدول الاستعمارية، والولايات المتحدة الاميركية قبل كل شيء، تبذل قصارى الجهد لكي تربط بنظامها البلدان المتحررة من نير الحكم الاستعماري ولكي تقوي بالتالي مواقع الرأسمالية العالمية وتؤمن لها، كما يكتب الايديولوجيون البرجوازيون، دفقا من الدم الطري، وتجدد شبابها وترسّخها. واذا نظرنا الى الوقائع وجها لوجه، فلا بد من الاعتراف بان لدى الاستعماريين مقاليد اقتصادية قوية للتأثير في البلدان المتحررة. وهم لا يزالون يتوفقون في شبك بعض البلدان المستقلة سياسيا بشباك التبعية الاقتصادية. فالآن، وقد استحالت اقامة انظمة الحكم الاستعماري المكشوف، يلجأ الاستعماريون الى اشكال واساليب مقنعة لاستعباد ونهب البلدان المتحررة. ناهيك بان الدول المستعمِرة تدعم في كل مكان القوى الرجعية الداخلية في البلدان المتحررة، وتحاول ان تغرس الانظمة الكركوزية، الديكتاتورية، وتجر هذه البلدان الى الكتل العدوانية. وان الدول الاستعمارية، رغم ما يلاحظ بينها من تناقضات فائقة الحدة، كثيرا ما تعمل معا ضد حركة التحرر الوطني.

ولكن اذا أخذت بالحسبان جميع العوامل التي تؤثر في مصير الشعوب التي خلعت نير الحكم الاستعماري، فلا بد من الاستنتاج ان ميول التقدم الاجتماعي المضادة للاستعمار ستتفوق في آخر المطاف.

ولكن هذه القضايا تحل في الصراع الحاد داخل كل بلد. وان تصريح الاجتماع يتضمن موضوعات هامة بصدد

القضايا الاساسية في تطور حركة التحرر الوطني، ويشير الى المهام التي تكافح الاحزاب الشيوعية من اجل تحقيقها، والى مواقف هذه الاحزاب من مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية. وان التصريح، تعبيرا عن وحدة نظرات الاحزاب الماركسية-اللينينية، يوجه نحو الحد الاقصى من استغلال الامكانيات الثورية لدى مختلف الطبقات ومختلف الفئات الاجتماعية، نحو اجتذاب جميع الحلفاء، حتى وان كانوا متقلقلين ومتذبذبين ومترددين، الى النضال ضد الاستعمار.

ان الشيوعيين ثوريون، وان الحال ليكون سيئا لو كانوا لا يلاحظون الامكانيات الجديدة الناشئة، ولا يجدون الاساليب والاشكال الجديدة التي تؤول باوفر الامانة والوثوق الى بلوغ الهدف المنشود. وتجدر الاشارة بوجه خاص الى الفكرة الواردة في التصريح والقائلة بتشكيل دولة الديموقراطية الوطنية. فان التصريح يعطي وصفا للسمات الاساسية التي تتسم بها هذه الدولة وللمهام التي هي مدعوة الى تحقيقها. ومن المهم الاشارة الى انه لا بد من انبثاق اشكال متنوعة لحل مهام التقدم الاجتماعي في ظل هذا التنوع الهائل من الظروف الملموسة في البلدان التي هبت شعوبها الى الابداع التاريخي المستقل.

ان تطبيق النظرية الماركسية-اللينينية التطبيق الصحيح في البلدان المتحررة يتقوم بالضبط في حسبان الحساب لما تختص به حياة الشعوب في الميدان الاقتصادي والسياسي والثقافي، وفي ايجاد اشكال لتوحيد جميع القوى

السليمة في الامة ولتامين الدور القيادي في الجبهة الوطنية للطبقة العاملة، وفي النضال من اجل استئصال جذور الاستعمار وبقايا الاقطاعية بحزم، ومن اجل تنظيف الطريق امام الحركة الى الاشتراكية في نهاية المطاف.

وفي الظرف الراهن، اذ تحاول الرجعية الاستعمارية ان تفرض على الدول المستقلة الفتية سياسة العداء للشيوعية، يكتسب اهمية خاصة توضيح النظرات والمساعي الشيوعية التوضيح الصحيح. ان الشيوعيين يؤيدون التدابير الديموقراطية العامة التي تتخذها الحكومات الوطنية. وفي الوقت نفسه يوضح الشيوعيون للجماهير ان التدابير من هذا النوع ليست أبدا بالتدابير الاشتراكية.

ليس ثمة احد، كشغيلة البلدان الاشتراكية وشيوعيي العالم اجمع، قريبة اليه ومفهومة منه اماني الشعوب التي تحطم سلاسل الحكم الاستعماري. فان نظرتنا الى العالم بالذات، ومصالح الانسانية الكادحة، التي نناضل من اجلها، تحفزنا الى عمل كل ما في المستطاع لكي تسير الشعوب في السبيل القويم نحو التقدم، نحو ازدهار قواها المادية والروحية. وينبغي لنا ان نعزز بسياستنا ثقة الشعوب بالبلدان الاشتراكية.

ان مساعدة الاتحاد السوفييتي وغيره من الدول الاشتراكية الى البلدان التي ظفرت بالاستقلال، تبتغي هدفا واحدا وحيدا: الاسهام في توطيد مواقع هذه البلدان في النضال ضد الاستعمار، وفي تطوير الاقتصاد الوطني وتحسين حياة الشعوب. وقد اشار انجلس الى ما للطبقة العاملة في

البلدان الطليعية من مصلحة هائلة في «السير بأسرع ما يمكن» بالبلدان المستعمرة «الى الاستقلال»، وكتب يقول: «هناك شيء واحد فقط لا شك فيه: ان البروليتاريا الظافرة لا تستطيع ان تفرض اي سعادة على اي شعب غريب، دون ان تقوض بالتالي انتصارها ذاته» *.

ان واجب الطبقة العاملة الظافرة الاممي يتلخص في مساعدة شعوب البلدان الضعيفة التطور اقتصاديا على ان تحطم حتى النهاية سلاسل الاستعباد الاستعماري التي تقيدها، ومساندتها من جميع النواحي في نضالها ضد الاستعمار ومن اجل الحق في تقرير مصيرها بنفسها وفي التطور المستقل. ولكنه لا ينجم اطلاقا من هنا ان المعونة الاشتراكية لا تؤثر في آفاق تطور البلدان المتحررة اللاحق.

ان الاتحادَ السوفييتي كان ولا يزال صديقا مخلصا للشعوب المستعمرة، واخذ على الدوام جانب الدفاع عن حقوقها ومصالحها ومساعيها الى الاستقلال. واننا سنقوي ونطور في المستقبل ايضا التعاون الاقتصادي والثقافي مع البلدان التي سلكت سبيل الوجود المستقل.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٤٥ — ٥١)

---

* . كارل ماركس وفريدريك انجلس. المؤلفات، المجلد ٢٧، ص ص ٢٣٨—٢٣٩.

نظرا الى التغيرات الجذرية في المسرح العالمي، تتكشف كذلك آفاق جديدة في قضية انتقال البلدان والامم الى الاشتراكية.

عشية ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى، كتب لينين يقول: «ستصل جميع الامم الى الاشتراكية. ان هذا امر محتوم. ولكنها لن تصل جميعها على صورة واحدة تماما، فستحمل كل منها امرا تنفرد به في هذا او ذاك من اشكال الديموقراطية، في هذا المظهر او ذاك من مظاهر ديكتاتورية البروليتاريا، في سرعة تحويل مختلف وجوه الحياة الاجتماعية تحويلا اشتراكيا. وليس من شيء احقر نظريا وادعى للضحك عمليا من ان نتصور المستقبل من **هذه** الناحية، «باسم المادية التاريخية»، بلون رمادي واحد: اذ ان ذلك يكون عبارة عن شحورة سوزدالية* لا اكثر»**.

ان التجربة التاريخية أكدت كليا صحة موضوعة لينين العبقرية هذه. فالآن، يقوم شكل الديموقراطية الشعبية الى جانب الشكل السوفييتي لاعادة بناء المجتمع على الاسس الاشتراكية.

---

* مدينة سوزدال من اقدم المدن الروسية، غنية بالآثار المعمارية. كانت معروفة في القرون الماضية كمركز من اكبر مراكز الصناعة الحرفية. قبل الثورة أُنتجت في سوزدال وفي القرى المجاورة لها ايقونات رخيصة رديئة الرسم. ومن هنا اشتق تعبير «شحورة سوزدال». (الناشر).

** لينين. المؤلفات، المجلد ٢٣، ص ٥٨.

ففي بولونيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والبانيا وسائر بلدان الديموقراطية الشعبية في اوروبا، انبثق هذا الشكل وهو موضع استغلال وفقا للظروف والخصائص التاريخية والاجتماعية الاقتصادية الملموسة في كل من هذه البلدان. وقد كان موضع اختبار من كل النواحي في غضون عشرة اعوام وبرهن كليا عن اهليته.

والى قضية البناء الاشتراكي، تحمل الكثير من الاصالة جمهورية الصين الشعبية التي كان اقتصادها قبل انتصار الثورة في غاية التأخر وكان يتسم بطابع نصف اقطاعي ونصف استعماري. وعلى اساس الظفر بالمواقع القيادية الحاسمة، تتجه دولة الديموقراطية الشعبية في سياق تطور الثورة الاشتراكية نحو اعادة بناء الصناعة الخاصة والتجارة الخاصة بطريقة سلمية وتحويلهما تدريجيا الى جزء مكوّن من الاقتصاد الاشتراكي.

ان قيادة الحزب الشيوعي الصيني والاحزاب الشيوعية والعمالية في سائر بلدان الديموقراطية الشعبية قضية التحويل الاشتراكي العظيمة مع حسبان الحساب لمميزات وخصائص كل بلد، انما هي الماركسية الخلاقة قيد العمل.

وفي جمهورية يوغوسلافيا الشعبية الاتحادية، حيث السلطة تخص الشغيلة والمجتمع يرتكز على الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج، تتكون في سياق البناء الاشتراكي اشكال ملموسة اصيلة لادارة الاقتصاد وبناء جهاز الدولة.

ومن المحتمل كليا ان تصبح اشكال الانتقال الى الاشتراكية اكثر فاكثر تنوعا. هذا مع العلم انه ليس من

المحتم ان يكون تطبيق هذه الاشكال في جميع الظروف مرتبطا بالحرب الاهلية. ان الاعداء يحبون ان يصورونا نحن اللينينيين على اننا من انصار العنف ابدا ودائما وفي جميع الحالات. صحيح اننا نعترف بضرورة تحويل المجتمع الرأسمالي تحويلا ثوريا الى مجتمع اشتراكي. وهذا ما يميز الماركسيين الثوريين عن الاصلاحيين والانتهازيين. ولا مجال للريب في ان قلب الديكتاتورية البرجوازية بالعنف في جملة من البلدان الرأسمالية وما يرتبط به من حدة في تفاقم النضال الطبقي سيكونان امرين محتمين. ولكن اشكال الثورة الاجتماعية متنوعة. اما الزعم القائل اننا لا نقر الا بسبيل واحد لتحويل المجتمع، هو سبيل العنف والحرب الاهلية، فانه لا ينطبق على الواقع.

فمعلوم ان لينين كان في نيسان (ابريل) ١٩١٧، في الظروف الناشئة آنذاك، يقر بامكان تطور الثورة الروسية تطورا سلميا. ومعلوم كذلك ان لينين، بعد انتصار ثورة اكتوبر، وضع في ربيع ١٩١٨ خطة البناء الاشتراكي السلمي الشهيرة. وليس الذنب ذنبنا اذا كانت البرجوازية الروسية والعالمية نظمت الثورة المضادة والتدخل والحرب الاهلية ضد الدولة السوفييتية الفتية واضطرت العمال والفلاحين الى امتشاق السلاح. ومعلوم ان الامر لم يقتض حربا اهلية في بلدان الديموقراطية الشعبية في اوروبا، في وضع تاريخي آخر.

ان اللينينية تعلم ان الطبقات السائدة لا تتخلى عن السلطة بملء اختيارها. ولكن هذه الدرجة او تلك من حدة النضال، واستعمال او عدم استعمال العنف لدن الانتقال

الى الاشتراكية، لا تتوقف على البروليتاريا بقدر ما تتوقف على درجة مقاومة المستثمرين، على لجوء طبقة المستثمرين ذاتها الى العنف.

وفي هذا الصدد، تبرز قضية امكان استخدام السبيل البرلماني ايضا من اجل الانتقال الى الاشتراكية. ان هذا السبيل لم يكن واردا بالنسبة للبلاشفة الروس الذين كانوا اوائل من حققوا الانتقال الى الاشتراكية. فلقد دلنا لينين على سبيل آخر كان السبيل القويم الوحيد في تلك الظروف التاريخية لانشاء جمهورية السوفييتات، ونحن، بسلوك هذا السبيل، احرزنا انتصارا تاريخيا عالميا.

ولكن، منذ ذلك الحين، طرأت في الوضع التاريخي تغيرات جذرية تتيح تناول هذه المسألة بطريقة جديدة. ففي العالم أجمع، تنامت قوى الاشتراكية والديموقراطية بما لا قياس له، بينا امست الرأسمالية أضعف بكثير. ومعسكر بلدان الاشتراكية الجبار الذي يعد اكثر من ٩٠٠ مليون نسمة، ينمو ويقوى. ويوما بعد يوم، يكشف هذا المعسكر اكثر فاكثر قواه الداخلية العملاقة ومزاياه الحاسمة بالنسبة للرأسمالية. وقد اصبحت الاشتراكية قوة جذابة عظيمة بالنسبة للعمال والفلاحين والمثقفين في جميع البلدان. ان افكار الاشتراكية تغدو حقا وصدقا سيدة عقل البشرية الكادحة قاطبة.

وفضلا عن ذلك، تتوافر في الظروف الراهنة للطبقة العاملة في جملة من البلدان الرأسمالية امكانية فعلية لتوحيد اغلبية الشعب الساحقة تحت قيادتها وتأمين انتقال وسائل الانتاج الاساسية الى يد الشعب. والاحزاب البرجوازية

اليمينية والحكومات التي تؤلفها هذه الاحزاب تمنى بالافلاس اكثر فاكثر. وفي هذه الاحوال، تستطيع الطبقة العاملة، اذا ما وحدت حولها الفلاحين الكادحين والمثقفين وجميع القوى الوطنية وردت ردا حاسما على العناصر الانتهازية العاجزة عن العدول عن سياسة التفاهم مع الرأسماليين والملاكين العقاريين، ان تنزل الهزيمة بالقوى الرجعية المعادية للشعب وان تظفر باغلبية متينة في البرلمان وتحوله من هيئة الديموقراطية البرجوازية الى اداة لارادة الشعب فعلا. وفي هذه الحال، قد تصبح هذه المؤسسة التقليدية بالنسبة لكثرة من البلدان الرأسمالية العالية التطور هيئة للديموقراطية الحقيقية، للديموقراطية من اجل الشغيلة.

ان الظفر باغلبية برلمانية متينة تعتمد على حركة البروليتاريا والكادحين الثورية الجماهيرية من شأنه ان يخلق للطبقة العاملة في جملة من البلدان الرأسمالية والبلدان المستعمرة سابقا شروطا وظروفا تؤمن اجراء تحويلات اجتماعية جذرية.

ويقينا ان مقاومة القوى الرجعية مقاومة جدية ستكون امرا محتما لا مناص منه في البلدان التي لا تزال فيها الرأسمالية قوية وفي يديها جهاز بوليسي عسكري هائل. فهناك سيجري الانتقال الى الاشتراكية في ظروف من النضال الطبقي، الثوري الحاد.

ان القيادة السياسية من جانب الطبقة العاملة برئاسة قسمها الطليعي هي الشرط الحاسم الذي لا غنى عنه في جميع اشكال الانتقال الى الاشتراكية. وبدون هذا، يستحيل الانتقال الى الاشتراكية.

ومن الضروري الاشارة بكل القوة الى انه قد نشأت في بلدان اخرى ظروف اكثر ملاءمة من اجل انتصار الاشتراكية لأن الاشتراكية انتصرت في الاتحاد السوفييتي وتنتصر في بلدان الديموقراطية الشعبية. ولو ان لينين وحزب البلاشفة لم يذودا عن الماركسية الثورية في غمرة النضال ضد الاصلاحيين الذين قطعوا صلتهم بالماركسية وساروا في طريق الانتهازية، لاستحال انتصارنا.

(تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي امام مؤتمر الحزب العشرين. المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول. موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٥٦، ص ص ٣٨-٤١)

السبيلان السلمي وغير السلمي ممكنان

ان الاعتراف بضرورة تحويل المجتمع الرأسمالي تحويلا ثوريا الى مجتمع اشتراكي هو حقيقة بديهية بنظرنا نحن الشيوعيين السوفييتيين، ابناء ثورة اكتوبر. ان السبيل الى الاشتراكية يمر عبر الثورة البروليتارية واقامة ديكتاتورية البروليتاريا. اما اشكال الانتقال الى الاشتراكية، فانها، كما اشار المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، ستصبح اكثر فاكثر تنوعا. هذا مع العلم انه ليس من المحتم ان يرتبط تحقيق الانتقال الى الاشتراكية في كل مكان وفي جميع الحالات

بالانتفاضة المسلحة والحرب الاهلية. فان الماركسية ـ اللينينية تنطلق من ان اشكال الانتقال الى الاشتراكية قد تكون سلمية وغير سلمية. ان تحقيق الثورة بالسبيل السلمي يستجيب لمصالح الطبقة العاملة والجماهير الشعبية. ولكن اذا ردت الطبقات السائدة على الثورة بالعنف ولم تشأ ان ترضخ لارادة الشعب، ترتب على البروليتاريا ان تحطم مقاومتها وتقدم على الحرب الاهلية الحاسمة.

نحن مقتنعون انه بقدر ما يتوطد جبروت النظام الاشتراكي العالمي ويرتفع مستوى تنظيم الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية، بقدر ما تنشأ ظروف اكثر فاكثر ملاءمة للثورات الاشتراكية. ان الانتقال الى الاشتراكية في البلدان حيث التقاليد البرلمانية متطورة ممكن التحقيق كذلك عن طريق استخدام البرلمان، وفي البلدان الاخرى عن طريق استخدام المؤسسات المناسبة لتقاليدها الوطنية. والمقصود في هذه الحال، لا استخدام البرلمان البرجوازي، بل استخدام الشكل البرلماني بغية وضعه في خدمة الشعب، وتضمينه مضمونا جديدا. وعليه تتلخص القضية لا في تطبيقات انتخابية ما، لا في المعارك حول صناديق الاقتراع وحسب. وهذا ما يهتم به الاصلاحيون. اما الشيوعيون فانهم غريبون عن هذه التطبيقات. فان توحيد ورص القوى الثورية للطبقة العاملة ولجميع الشغيلة وتطوير الاعمال الثورية الجماهيرية، كل هذا انما هو بالنسبة لنا شرط لا غنى عنه للظفر باغلبية متينة في البرلمان. ان الظفر بالاغلبية في البرلمان وتحويله الى هيئة لسلطة الشعب، في حال وجود حركة ثورية قوية في البلد يعنيان تحطيم الآلة

العسكرية الدواوينية للبرجوازية وانشاء شكل جديد بروليتاري شعبي للدولة برلماني الشكل.

ومن الواضح تماما ان الانتقال الى الاشتراكية في البلدان التي لا تزال فيها الرأسمالية قوية وفي يدها جهاز بوليسي عسكري هائل سيجري حتما في ظروف من النضال الطبقي الحاد. والشرط الحاسم في جميع اشكال الانتقال الى الاشتراكية هو القيادة السياسية من جانب الطبقة العاملة برئاسة الطليعة الشيوعية.

ان هذه الاستنتاجات التي استخلصها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي تعتمد على نظرية الماركسية-اللينينية، على تجربة الاحزاب الشيوعية الشقيقة، على تجربة الحركة الشيوعية العالمية، وتحسب الحساب الصحيح للظروف العالمية المتغيرة. وهي توجه الاحزاب الشيوعية نحو رص صفوف الطبقة العاملة واغلبية الشعب، نحو استيعاب جميع اشكال النضال: السلمية وغير السلمية، البرلمانية وغير البرلمانية. وقد علم لينين الشيوعيين ان يكونوا مستعدين، وفقا للوضع، لتطبيق هذا الشكل او ذاك من اشكال النضال، وان يربوا جماهير الشغيلة بروح الاستعداد للاعمال الثورية الحازمة.

وبديهي ان امر تحديد اي اشكال وطرائق للنضال سيترتب اختيارها على الطبقة العاملة في هذا البلد او ذاك وفقا للظرف التاريخي الملموس، انما هو شأن البروليتاريا نفسها في كل بلد وشأن طليعتها الشيوعية.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٥٤-٥٥)

ان البرجوازية الاحتكارية قد انشأت في مرحلة ما بعد الحرب «اتحادا مقدسا» رجعيا جديدا، اي كتلا حربية موجهة رؤوس حرابها لا ضد البلدان الاشتراكية وحسب، بل ايضا ضد الحركة العمالية الثورية وحركة التحرر الوطني. وقد ضخمت جهاز العنف والقمع بمقاييس فظيعة. وهي، الى جانب ذلك، تتفنن في استنباط طرائق جديدة لشق الطبقة العاملة وافساد الحركة النقابية، مستغلة لهذا الغرض بنشاط زعماء الاشتراكية-الديموقراطية الرجعيين وقادة النقابات الرجعيين. وشنت حملة مسعورة ضد الشيوعية، موحدة تحت هذه الراية السوداء جميع اعداء الشعب الكادح. وليس من المستبعد اطلاقا ان تلجأ البرجوازية الاحتكارية الى اقصى الوسائل واشدها دموية، لكي تحتفظ بسيطرتها. وفي هذه الاحوال، تدوي كلمات لينين بقوة حالية لا سابق لها: يجب على الطبقة العاملة ان «تمتلك **جميع** اشكال او جوانب النشاط الاجتماعي دون اي استثناء...»، يجب عليها ان تكون مستعدة «لتغيير شكل بآخر على اسرع نحو واشده مفاجأة» *.

(عن برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ٢٢٨)

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٣١، ص ٧٦.

يجب على كل شعب ان يبني الاشتراكية ويسير الى الشيوعية مع حسبان الحساب لخصائصه الوطنية والثقافية والاقتصادية. وان الموضوعة اللينينية المعروفة بهذا الصدد قد وجدت لها تعبيرا في بيان اجتماع ممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية من البلدان الاشتراكية في موسكو عام ١٩٥٧، وتثبيتا لها في قرارات مؤتمر حزبنا العشرين، وتأكيدا جديدا لهـا في المؤتمر الحادي والعشرين الاستثنائي. فاين وجه الخلاف بيننا وبين المحرفين في تأويل هذه الموضوعة من الماركسية-اللينينية؟ الخلاف في كون المحرفين يشددون على الفوارق في الاحوال الملموسة القائمة في مختلف البلدان التي تبني الاشتراكية، متجاهلين تماما الموضوعات الثابتة العامة الملازمة لجميع البلدان. نحن الماركسيين-اللينينيين، نبرز بالضبط المبادئ الثابتة المشتركة بين جميع بلداننا ونشير اليها، وهي قيادة الجماهير الشغيلة من جانب الطبقة العاملة التي نواتها الحزب الماركسي-اللينيني، في تحقيق الثورة البروليتارية بهذا الشكل او ذاك واقامة ديكتاتورية البروليتاريا بهذا الشكل او ذاك؛ تحالف الطبقة العاملة مع الجماهير الاساسية من الفلاحين ومع سائر فئات الشغيلة؛ تصفية الملكية الرأسمالية واقامة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الاساسية؛ تحويل الزراعة تدريجيا على اساس الاشتراكية؛ الاممية البروليتارية، وغيرها من المبادئ. ان هذه القوانين هي اس الاسس بالنسبة لجميع الذين يريدون فعلا بناء

الاشتراكية لا السير بالقضية الى مستنقع الانتهازية كما يفعل المحرفون.

(كلمة في الجلسة الاحتفالية في فرصوفيا لمناسبة الذكرى السنوية الخامسة عشرة لتاسيس الجمهورية الشعبية البولونية. ٢١ تموز (يوليو) ١٩٥٩. مجموعة «عالم بلا اسلحة، عالم بلا حروب»، المجلد الاول. موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٦٠، ص ص ٤٦٩-٤٧٠)

ان الاستعماريين، سيرا على قاعدتهم القديمة «فرق تسد»، يتشبثون بالاوهام القومية من كل شاكلة وطراز في النضال ضد المعسكر الاشتراكي، ويلجؤون الى التخريب الايديولوجي تحت راية ما يسمى «الشيوعية الوطنية». ويحاول ايديولوجيو الاستعمار وعملاؤهم ان يبذروا بذار سموم الشوفينية والتعصب القومي البرجوازي لكي يجعلوا البلدان الاشتراكية تقف بعضها ضد بعض.

ان بعض القادة، ممن يسمون انفسهم بالشيوعيين ويعلقون في شباك هذه الدعاية، يؤيدون الاشتراكية ولكن دون ديكتاتورية البروليتاريا، دون قيادة الحياة الاجتماعية من جانب الطبقة العاملة وطليعتها الحزب الشيوعي، دون تطبيق مبادئ الاممية البروليتارية. ان اخصامنا يطلقون على مثل هذه السياسة تعبير «الشيوعية الليبيرالية»، فيفضحون بالتالي رغبتهم الضمنية في تحويل الشيوعيين الى ليبيراليين برجوازيين عاديين. ومن مثال جيلاس او

ايمري ناد اللذين وصل بهما الامر الى حد خيانة قضية الاشتراكية ومصلحة بلديهما الوطنية الجذرية خيانة سافرة، يظهر الى اين تقود طريق التحريفية المعاصرة. ان تحطيم مواقف عدوي الاشتراكية هذين، السياسية والفكرية يخدم قضية تعزيز الاشتراكية في هذين البلدين وفي النظام الاشتراكي عموما.

كذلك تتضمن ترسانة المحرفين المعاصرين تمجيد الديموقراطية البرجوازية. وهذا اسلوب معروف من زمان استقرضوه من انتهازيي الاممية الثانية. ففي حينه، ومن المواقف نفسها، شن المرتد كاوتسكي والمناشفة والاشتراكيون-الثوريون نضالا ضاريا ضد لينين والجمهورية السوفييتية الفتية. ان «الحكماء» من عداد زعماء الاشتراكيين اليمينيين، واحدث المحرفين المتساوقين معهم، يحاكمون على النحو التالي تقريبا: لو ان الشيوعيين في البلدان التي يتسلمون فيها مقاليد السلطة افسحوا المجال للنشاط السياسي العدائي ضد النظام الاشتراكي، لاعترفنا آنذاك ان عندهم حريات وأطريناهم.

ولكنه لن يتأتى للمحرفين اطراء الشيوعيين على مثل هذه الامور! فنحن نقف على المواقف اللينينية، مواقف توطيد وتطوير الدولة الاشتراكية، تطوير الديموقراطية الاشتراكية لا الديموقراطية البرجوازية، ولن نتخلى عن المواقف اللينينية!

ان التجربة العالمية من حيث بناء الدولة الاشتراكية في مرحلة الانتقال، ومنها مثلا درس النضال ضد الفتنة المعادية للثورة في المجر، تشهد على انه يجب على الطبقة

العاملة ان تعرف كيف تدافع عن سلطتها دون الاعداء الداخليين والخارجيين، وانه يجب على دولة الشغيلة ان تتولى قيادة بناء الاشتراكية وتطور الديموقراطية الاشتراكية وتزيدها عمقا.

وفي الظرف الراهن، نشأت مختلف اشكال الدولة الاشتراكية. ومع ذلك، تنبغي الاشارة الى انه، دون الحزب الماركسي-اللينيني، يستحيل وجود الدولة الاشتراكية، يستحيل تنظيم الطبقة العاملة بوصفها القوة القائدة في المجتمع، يستحيل تأمين التحالف الراسخ بين الطبقة العاملة والفلاحين، يستحيل النجاح في تنفيذ مهام بناء المجتمع الاشتراكي.

لقد بيّن لينين ان جميع الشعوب والبلدان ستصل الى الاشتراكية، ولكنها لن تصل على صورة واحدة، فكل منها سيحمل امرا يتفرد به في هذا او ذاك من اشكال الديموقراطية، في هذا او ذاك من مظاهر ديكتاتورية البروليتاريا، واخيرا، في سرعة تحويل مختلف وجوه الحياة الاجتماعية تحويلا اشتراكيا. ولقد اشار المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي الى ان التجربة التاريخية لتطور جميع البلدان السائرة في طريق الاشتراكية قد اكد كليا صحة هذه الموضوعة اللينينية.

ان بعضهم يحاول التشبث بالموضوعات اللينينية وقرارات مؤتمر الحزب العشرين بصدد تنوع اشكال الانتقال الى الاشتراكية وطرائق بناء الاشتراكية، ويؤول هذه الموضوعات على طريقته: اذا كان لينين قد بيّن، والمؤتمر العشرون قد أكد وطور الموضوعة اللينينية بصدد تنوع

اشكال وطرائق بناء الاشتراكية، فلا ضرورة بالتالي، كما يزعم، لوحدة البلدان الاشتراكية. ان انصار وجهة النظر هذه يعلنون ان في مستطاع كل بلد، على زعمهم، ان يسير الى الاشتراكية بسبل ما، خاصة به ولا تمت باي صلة الى سائر البلدان الاشتراكية.

ان نظرية الاشتراكية العلمية تأخذ بالحسبان ولا بدّ لها ان تأخذ بالحسبان الخصائص التاريخية التي يختص بها كل بلد والتي تحدد، الى هذه الدرجة او تلك، اشكال وطرائق بناء الاشتراكية. وهذا امر بديهي. وان احدا من الذين يقفون فعلا المواقف الثورية، لا يرضى بالفكرة القائلة انه من الممكن، لدن بناء الاشتراكية، اهمال الخصائص التاريخية والاجتماعية الاقتصادية في تطور مختلف البلدان. واذا انطلقنا من المواقف الماركسية-اللينينية، فلا بدّ من ان نبرز الى المرتبة الاولى، لا هذه او تلك من الخصائص التي يتفرد بها كل بلد، بل الامر الرئيسي، العام، الذي يقوم في اساس النضال من اجل الاشتراكية.

فان الفوارق في واقع البناء الاشتراكي قد تتجلى، مثلا، في قضايا انشاء هذا الشكل او ذاك من اشكال ادارة الانتاج، هذه او تلك من طرائق اشاعة التعاون في الزراعة، ولكن تصفية الملكية الخاصة لوسائل الانتاج، واقامة التعاون بين الفلاحين، انما هما الامر العام الذي يستحيل بدونه تطور النظام الاشتراكي بنجاح. ومعلوم ان قضايا ادارة الصناعة في جمهورية الصين الشعبية تحل وفقا لظروف البلد الملموسة، على نحو يختلف عما في الاتحاد السوفييتي، وعلى

نحو يختلف عما في تشيكوسلوفاكيا مثلا. ولكن، رغم تنوع الاشكال الملموسة للادارة، يبقى الرئيسي ثابتا وهو تطبيق المبادئ الماركسية-اللينينية لبناء الاشتراكية التطبيق الدائب المنسجم.

ان هيبة الاشتراكية في وعي الشغيلة قد تنامت، وافكار الاشتراكية قد استولت على عقول الجماهير، بحيث ان ابعد اخصام الاشتراكية وانصار الرأسمالية نظرا مستعدون الآن حتى للتسليم بمجرد تعبير الاشتراكية ولكن مع اضافة صغيرة - «الاشتراكية الوطنية» او «الشيوعية الوطنية».

من الصعب على اخصامنا الطبقيين ان يناضلوا ضد جبهة بلدان الاشتراكية، ضد هذه الجبهة الموحدة الشديدة اللحمة. وهم يعللون النفس بان يقضوا على كل بلد اشتراكي بمفرده، لكي يحاولوا بهذه الطريقة اضعاف نظام الاشتراكية العالمي كله.

ان اخصام الاشتراكية يحلمون بان ينصرف الشيوعيون الى البحث عن سبل ما الى الاشتراكية، «جديدة» اطلاقا، مصطنعة، لكل بلد بمفرده، وبان يتناسوا تجربة البناء الاشتراكي العظيمة التي توافرت في الاتحاد السوفييتي والصين وفي البلدان الاخرى. وهم يقترحون السير نحو الاشتراكية، كل بمفرده، شذر مذر، كما يقال، كل يجر رجليه جرا في درب مختلف. واذا اخذنا بوجهة النظر هذه، فلعله يتجمع لدينا عدد من «السبل» بحيث يضل الناس كما في الغاب، ولا يعرفون كيف يبلغون هدفهم العظيم. ولكن هذه الحسابات محكوم عليها بالاخفاق. فان الاحزاب الشيوعية والعمالية تحزر مشاريع اعداء الاشتراكية وترد

عليهم ردا حاسما، وهي تقف بكل صلابة على المواقف الماركسية-اللينينية ولن تسمح بصرفها عن السبيل القويم. وان محاولات تقويض الحركة الاشتراكية من الداخل، وتفسيخ البلدان والاحزاب الاشتراكية ودفعها الى التصادم بعضها ببعض، انما هي واحد من انعم اشكال نضال الاستعمار وعملائه ضد النظام الاشتراكي العالمي. وهذا خطر من الاخطار الرئيسية، ويجب علينا ان نشن ضده النضال الاحزم.

ان الطريق الكبيرة الى الاشتراكية قد شقت، والاشكال والطرائق الاساسية للبناء الاشتراكي قد أثبتت صحتها الحياة وتجربة العديد من البلدان الاشتراكية. فيجب ترقية هذه الاشكال والطرائق، يجب استيعاب وتعميم التجربة الهائلة المكدسة، تجربة ابداع الجماهير الانشائي، واغناؤها وتطويرها بلا كلل وفقا لظروف كل بلد وكل شعب، يجب تعزيز معسكر الاشتراكية، لا تقويضه، وآنذاك سيتطور المجتمع الاشتراكي باستمرار وينمو، متغلبا على جميع العقبات وجميع المصاعب.

(الذكرى السنوية الاربعون لثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى. تقرير في الدورة اليوبيلية للسوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي. ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧. الدورة اليوبيلية للسوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي... المحضر الاختزالي. اصدار السوفييت الاعلى في الاتحاد السوفييتي، عام ١٩٥٧، ص ص ٤٩-٥٢)

منذ نصف قرن، كان حزبنا الحزب الوحيد الذي ادرج في برنامجه الفكرة الماركسية-اللينينية القائلة بديكتاتورية البروليتاريا. فاذا كنا استطعنا ان نصمد في النضال المستميت ضد الرجعية الداخلية والعالمية، واذا كنا استطعنا ان نحقق في الواقع حلم الانسانية المزمن، اي الاشتراكية، فنحن مدينون بكل ذلك، الى حد كبير، لكوننا ملكنا في ايدينا اداة قوية لتحويل المجتمع هي دولة ديكتاتورية الطبقة العاملة. ان تجربة الاتحاد السوفييتي وبلدان الديموقراطية الشعبية قد أكدت كليا صحة التعليم الماركسي-اللينيني القائل بانه لا يمكن التوصل الى انتصار الاشتراكية الا شرط الظفر بديكتاتورية البروليتاريا.

ان ديكتاتورية البروليتاريا تنشأ عن ظروف النضال الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية. فان الاشتراكية تضطر في مجرى قيامها الى التغلب على المقاومة التي تبديها قوى العالم القديم الرجعية والتي لا يندر ان تبلغ اشدها. تذكروا، ايها الرفاق، اي مقاومة جنونية ابداها الملاكون العقاريون والرأسماليون عندنا بانشط التأييد من جانب قوى الرجعية العالمية. ويمكننا الاستشهاد ايضا باحداث زمن غير بعيد نسبيا، عنيت العصيان المعادي للثورة في المجر عام ١٩٥٦. فان هذا المثال قد اكد مرة اخرى ان الانتقال الى الاشتراكية يقضي بان يكون للطبقة العاملة سلطة في مقدورها قمع مقاومة المستثمرين، وترسيخ انتصار الثورة، ودرء

محاولات اعادة سلطة البرجوازية في الوقت المناسب، وتأمين الدفاع في وجه الاعمال العدوانية من جانب الرجعية العالمية.

وتجب الاشارة الى ان البروليتاريا لا تلجأ الى العنف الا ازاء الرأسماليين والملاكين العقاريين واعوانهم، لا ازاء الطبقات الكادحة. وهذا ما يحدد الطبيعة الديموقراطية العميقة للسلطة البروليتارية. واذا كانت الدولة البرجوازية تعني ديكتاتورية الاقلية المستثمرة على اغلبية المجتمع الساحقة، فان الدولة البروليتارية تفصح عن مصالح اغلبية المجتمع الساحقة. ان الطبقة العاملة تقود الفلاحين وفئات المجتمع الكادحة الاخرى، حلفاءها واخوانها في النضال، وتساعد في انتقالهم الاختياري الى طريق الاشتراكية. وهذه القيادة بوصفها السمة المميزة للسلطة البروليتارية، تميزها بصورة جذرية عن الدولة البرجوازية التي لا تعرف الا علاقات السيطرة والخضوع.

لقد علّم فلاديمير ايليتش لينين ان الطبقة العاملة تحتاج الى الديكتاتورية من اجل انشاء المجتمع الاشتراكي، ومن اجل القضاء على كل استثمار للانسان من قبل الانسان. لقد اوضح لينين قائلا: «هذا الهدف لا يمكن تحقيقه دفعة واحدة، انما يتطلب مرحلة انتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية، طويلة نسبيا، — لأن اعادة تنظيم الانتاج امر صعب ولأنه لا بدّ من الوقت للتغيرات الجذرية في جميع ميادين الحياة ولأنه لا يمكن التغلب على ما تتصف به عادة ادارة الاقتصاد البرجوازية الصغيرة والبرجوازية من قوة جبارة الا في غمرة من النضال الطويل العنيد. ولهذا

بالضبط تحدث ماركس عن مرحلة كاملة لديكتاتورية البروليتاريا، بوصفها مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية» *. ينجم بالتالي، حسب ماركس ولينين، ان دولة ديكتاتورية البروليتاريا انما هي دولة مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية.

(عن برنامج الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ص ٢٠٩-٢١٠)

تعلم الماركسية-اللينينية انه ينبغي للطبقة العاملة، عندما تنتقل السلطة اليها، ان تقيم ديكتاتوريتها لكي تقمع مقاومة الطبقات المستثمرة المقلوبة. قد تكون اشكال ديكتاتورية الطبقة العاملة مختلفة في مختلف البلدان. فاذا لم تبد الطبقة المقلوبة مقاومة بوجه الجديد الذي ولد في سياق تطور المجتمع التاريخي وبنتيجة الثورة، فلا داعي للطبقة العاملة الى استعمال وسائل القمع بالعنف. والحال بالعكس، عندما يحاول المستثمرون ان يعيدوا عجلة التاريخ الى الوراء ويحولوا دون الشعب واخذ السلطة في يده، ويخنقوا الثورة، فان الطبقة العاملة والشغيلة ملزمون في هذه الحال، باسم مصالحهم الحيوية، ان يستعملوا وسائل

* لينين. المؤلفات، المجلد ٢٩، ص ٣٥٨.

القمع ذودا عن مكتسباتهم الاجتماعية ودفاعا عن المصالح الحيوية للشغيلة وللشعب بأسره.

(مقابلة مع زعماء النقابات الاميركية. ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩. مجموعة «عالم بلا اسلحة، عالم بلا حروب»، المجلد ٢، ص ٢٢١)

هنا، على ضفاف النيفا، ولدت السلطة السوفييتية، وانتصرت لاول مرة في العالم وتوطدت ديكتاتورية البروليتاريا. وفي عهد السلطة السوفييتية، صارت بلادنا دولة اشتراكية جبارة، وشقت الطريق الكبرى الى العالم الجديد، الى عالم الاشتراكية. والآن تسير مجموعة كاملة من البلدان في هذه الطريق. وهي تستغل على نطاق واسع التجربة المكدسة وتحمل في الوقت نفسه كثرة من الامور الفريدة الى قضية البناء الاشتراكي. ولكن، رغم كل الفيض والتنوع الهائلين من الاشكال السياسية التي تنبثق لدن الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية، يبقى جوهر هذه الاشكال حتما واحدا، كما تنبأ ماركس ولينين، ألا وهو ديكتاتورية البروليتاريا. ان ديكتاتورية البروليتاريا هي وحدها القادرة على تأمين قيادة المجتمع سياسيا من جانب الطبقة العاملة، ونهوض القوى المنتجة باستمرار، وازدهار الديموقراطية الفعلية لجميع الشغيلة، وارتفاع مستوى حياة الجماهير الشعبية.

وليس من باب الصدفة ان المحرفين المعاصرين يركزون حملاتهم الرئيسية على ديكتاتورية البروليتاريا، التي مبدؤها

الاعلى هو التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين على ان تتولى الطبقة العاملة الدور القيادي. وهم يحاولون بالتالي تسديد ضربة الى القلب بالذات من حركة تحرر الطبقة العاملة. ولهذا الغرض، يسودون بجميع الوسائل صفحة ديكتاتورية البروليتاريا ويعارضونها بالديموقراطية. ويستفاد من اقوالهم ان ديكتاتورية البروليتاريا هي العنف الاقصى، وخنق الحرية، اي حرية، واضطهاد الفرد.

ان ديكتاتورية البروليتاريا مرتبطة، طبعا، بدرجة معينة من العنف. ولكن ضد من؟ ضد الذين اضطهدوا الشعب قرونا وقرونا، ضد الذين لا يريدون التخلي عن امتيازات نهب الشغيلة، ضد الذين يعملون على بعث الاوضاع القديمة. فهل يمكن للشغيلة ان يسمحوا لهؤلاء الطفيليين بالاستيلاء من جديد على المعامل والمصانع وخيرة الاراضي والغابات، ووضع نير الاستثمار في عنق الشعب.

ان قمع مقاومة المستثمرين ليس الوظيفة الوحيدة ولا حتى الوظيفة الرئيسية لديكتاتورية البروليتاريا، لسلطة الشغيلة. فهي تقوم بدور تنظيمي وتربوي وانشائي هائل. وهذا الجانب من نشاط الدولة الاشتراكية يبرز في زمننا بقوة خاصة، اذ يشترك مئات الملايين من الناس بنشاط في بناء الاشتراكية والشيوعية. ان ديكتاتورية البروليتاريا تؤمن للشغيلة في جميع مراحل تطورها الديموقراطية الفعلية وسلطة الشعب الحقيقية.

وبقدر ما يقترب الشعب من الاشتراكية، ومن ثم من الشيوعية، بقدر ما تتكشف مزايا الديموقراطية الاشتراكية بمزيد من الاتساع والكمال. وهذا ما يعترف به لا اصدقاؤنا

في الخارج وحسب، بل كذلك اولئك من الاعداء الذين لا يزال في وسعهم ان ينظروا الى الحقيقة عينا بعين.

ولا يندر ان يستر المحرفون مساعيهم ضد ديكتاتورية البروليتاريا وراء محاكمات بصدد الخصائص التي يتميز بها هذا البلد او ذاك. ولكنهم لا يضربون ولا يستطيعون ان يضربوا مثالا واحدا عن بناء الاشتراكية بنجاح دون ديكتاتوريـة البروليتاريـا. فعلى اساس ديكتاتورية البروليتاريا، تحرز جميع بلدان المعسكر الاشتراكي انتصارات رائعة في بناء الحياة الجديدة.

ان تجربة جملة من البلدان، بما فيها الجمهورية الشعبية البولونية، قد بينت ان الدولة الديموقراطية الشعبية تؤدي بنجاح وظائف ديكتاتورية البروليتاريا في الظروف التاريخية الجديدة. وان حزب العمال البولوني الموحد، ولجنته المركزية برئاسة الرفيق غومولكا قد ردا ردا حاسما على العناصر التحريفية التي طالبت بالاستعاضة عن الديموقراطية الشعبية بوصفها شكلا لديكتاتورية البروليتاريا، بما يسمى الديموقراطية «الخالصة». ولكن ما هي الديموقراطية «الخالصـة»؟ لقد قـال لينين ان «الديموقراطية الخالصة» هي تعبير كاذب لليبيرالي يخدع العمال. ان المحرفين المعاصرين يتسترون بجمل طنانة عن «الديموقراطية الخالصة» و «الاشتراكية الديموقراطية» ويجرون الى الوراء، نحو الديموقراطية البرجوازية التي ليست، كما هو معلوم، غير ديكتاتورية الطبقات المستثمرة.

وان المحرفين، اذ يروجون مثل هذه النظرات، انما يريدون ان ينزعوا سلاح الطبقة العاملة الفكري، ويبذروا

في صفوفها بذور سموم عدم الثقة بقواها الخاصة. وليس من قبيل الصدفة ان الرجعية الاستعمارية العالمية تمجد المحرفين وتطريهم بكل الوسائل وتدعمهم. ولقد ردت الاحزاب الشيوعية والعمالية ردا حاسما على حملات المحرفين المعاصرين وفضحتهم على حقيقة وجههم بوصفهم خونة مصالح الطبقة العاملة. وان الاحزاب الشيوعية والعمالية ستناضل بلا هوادة في المستقبل ايضا من اجل نقاوة النظرية الماركسية-اللينينية، وتعزز وحدة صفوفها الثورية.

(كلمة في الاجتماع الحاشد الذي عقده شغيلة لينينغراد تكريما للصداقة بين شعبي الاتحاد السوفييتي والجمهورية الشعبية البولونية. ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٨. مجموعة «نحو النصر في المباراة السلمية مع الراسمالية». موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٥٩، ص ص ٥٤٣-٥٤٤)

الثورة والحرب

نشبت الحروب مع انقسام المجتمع الى طبقات. وهذا يعني ان التربة لنشوب الحروب، كل الحروب، لن يقضى عليها نهائيا الا متى قضي على انقسام المجتمع الى طبقات متعادية، متناحرة. ومع انتصار الطبقة العاملة في العالم اجمع، مع انتصار الاشتراكية، ستزال جميع الاسباب الاجتماعية والقومية لنشوب الحروب، ويصبح في مستطاع البشرية الخلاص الى الابد من هذه البلية الرهيبة.

وفي الظروف الراهنة، يجب التمييز بين الفئات التالية من الحروب: الحروب العالمية؛ الحروب المحلية؛ الحروب التحررية – الانتفاضات الشعبية. وهذا امر ضروري من اجل وضع تاكتيك صحيح فيما يتعلق بهذه الحروب.

لنبدأ من قضية **الحروب العالمية**. ان الشيوعيين هم اشد اخصام الحروب العالمية حزما، كما هم على العموم اخصام الحروب بين الدول. فان هذه الحروب لا يحتاجها الا الاستعماريون من اجل الاستيلاء على اراضي الغير، واستعباد الشعوب ونهبها. وقبل نشوء المعسكر الاشتراكي العالمي، لم تكن تتوافر للطبقة العاملة امكانية ممارسة تأثير فاصل في حل قضية قيام الحرب العالمية او عدم قيامها. وفي تلك الظروف، تقدم خيرة ممثلي الطبقة العاملة بشعار تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية، اي استغلال الوضع الناشئ من اجل ظفر الطبقة العاملة والشعب الشغيل بالسلطة. وان وضعا كهذا قد تكوّن في الحرب العالمية الاولى، وقد استغله حزب البلاشفة ولينين بطريقة كلاسيكية.

وفي زمننا تكونت ظروف اخرى. فان المعسكر الاشتراكي العالمي باقتصاده الجبار وقواته المسلحة يؤثر تأثيرا متناميا ابدا في حل قضايا الحرب والسلم. وطبيعي انه لا تزال توجد الآن ايضا بين البلدان الاستعمارية تناقضات وتناجرات حادة، والرغبة في الاثراء على حساب بلدان اخرى، اضعف. بيد ان الاستعماريين مضطرون الى التلفت صوب الاتحاد السوفييتي وكل المعسكر الاشتراكي وهم يخافون اشهار الحروب فيما بينهم، ويسعون الى اخماد التناقضات القائمة بينهم. وقد انشأوا الكتل الحربية وجروا

اليها كثرة من البلدان الرأسمالية. ورغم ان هذه الكتل يمزقها الصراع الداخلي، الا ان المشتركين فيها، كما يقولون انفسهم، يوحدهم الكره للشيوعية، وكذلك، بالطبع، وحدة طبيعة الاستعمار ومساعيه.

ان اكثر الحروب احتمالا في الظرف الراهن ليست الحروب بين الدول الرأسمالية، الاستعمارية، رغم انه لا يجوز نفي هذا ايضا. فان الحروب يحضرها الاستعماريون بصورة رئيسية ضد بلدان الاشتراكية وقبل كل شيء ضد الاتحاد السوفييتي بوصفه اقوى الدول الاشتراكية. ان الاستعماريين ليرغبون في تقويض قوتنا وبالتالي في بعث سيادة الرأسمال الاحتكاري السابقة.

والمهمة تتقوم في اقامة عقبات يستحيل على الاستعماريين تذليلها من اجل شن الحرب. فان امكانياتنا لاقامة العقبات في طريق مشعلي نيران الحرب تتعاظم، ولذا نستطيع ان ندرأ نشوب الحرب العالمية. وبديهي اننا لا نستطيع بعد ان ننفي كليا امكانية الحروب ما دامت الدول الاستعمارية موجودة، ولكن شن الحروب اصبح الآن، بالنسبة للاستعماريين، اعقد بكثير مما مضى، قبل ظهور المعسكر الاشتراكي القوي. في وسع الاستعماريين ان يشنوا الحرب، ولكنهم مضطرون للتأمل في عواقبها.

لقد سنحت لي الفرصة وقلت انه لو تصور حتى هتلر المجنون باي هزيمة شنعاء ستنتهي مغامرته الدامية، وبانه سيضطر هو نفسه الى الانتحار، لكان فكر غير مرة قبل ان يشن الحرب على الاتحاد السوفييتي. ولكنه آنذاك لم يكن ثمة غير بلدين اشتراكيين فقط: الاتحاد السوفييتي

وجمهورية مونغوليا الشعبية. ومع ذلك حطمنا المعتدين مستغلين كذلك التناقضات بين الدول الاستعمارية.

اما في الوقت الحاضر، فان اللوحة تختلف تماما. ففي وجه المعسكر الاستعماري، تنتصب الآن البلدان الاشتراكية التي تمثل قوة جبارة. وانه لمن غير الصحيح الاستصغار من قوة المعسكر الاشتراكي ومن تأثيره في مجرى الاحداث العالمية، وبالتالي، في حل قضية قيام الحروب او عدم قيامها. ومع وجود معسكر الاشتراكية الجبار الذي يملك قوات مسلحة قوية، تستطيع الشعوب بلا مراء، اذا ما عبأت جميع قواها للنضال النشيط ضد الاستعماريين الناشطين في تحضير الحرب، ان تدرأ الحرب وان تؤمن بالتالي التعايش السلمي.

بضع كلمات عن **الحروب المحلية**. في المعسكر الاستعماري، يتحدثون كثيرا الآن عن الحروب المحلية بل انهم يصنعون سلاحا ذريا صغير العيار من اجل استخدامه في مثل هذه الحروب. ولفقت نظرية خاصة بشأن الحروب المحلية. فهل هذا من باب الصدفة؟ بديهي ان لا. فان بعض الاوساط الاستعمارية، خوفا من ان الحرب العالمية قد تنتهي بانهيار الرأسمالية التام، يبنون حساباتهم على شن الحروب المحلية.

لقد وقعت حروب محلية، وقد تنشب في المستقبل ايضا. ولكن امكانيات شن مثل هذه الحروب من جانب الاستعماريين تتقلص ايضا اكثر فاكثر. فان حربا استعمارية صغيرة، بصرف النظر عمن هم الاستعماريون الذين بدأوها، قد تتسع وتتحول الى حرب صاروخية، حرارية نووية

عالمية. ولهذا يجب علينا ان نناضل سواء ضد الحروب العالمية ام ضد الحروب المحلية.

من الممكن ان يكون عدوان بريطانيا وفرنسا واسرائيل على مصر مثالا على حرب محلية شنها الاستعماريون. فقد شاءت هذه الدول ان تخنق مصر وتخوف بالتالي البلدان العربية التي تناضل في سبيل الاستقلال، وتخوف سائر الشعوب في آسيا وافريقيا. وان رجال الدولة البريطانيين، ومنهم ايدن، قد حدثونا عندما كنا في لندن، بصراحة كافية، عن سعيهم الى التنكيل بمصر. فقلنا لهم صراحة: اذا بدأتم الحرب، فستخسرون، ولن نكون على الحياد. وعندما بدأت هذه الحرب، شجبتها هيئة الامم المتحدة شكلا، ولكن المعتدين لم يتأثروا اطلاقا بهذا، وواصلوا فعلتهم القذرة، بل انهم كانوا واثقين بانهم على وشك ان يبلغوا هدفهم. فهب الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي كله الى الدفاع عن مصر. واوقف انذار الحكومة السوفييتية الرهيب الى ايدن وغي مولله الحرب. ومنيت الحرب المحلية، المغامرة في مصر بالاخفاق والعار.

كان ذلك عام ١٩٥٦، عندما كانت نسبة القوى بين بلدان الاشتراكية وبلدان الاستعمار غير ما هي عليه اليوم. لم نكن آنذاك اقوياء كما في الوقت الحاضر. ثم ان حكام بريطانيا وفرنسا واسرائيل حسبوا ان يستغلوا المصاعب التي نشأت آنذاك في المجر وبولونيا. وهمس لنا ممثلو الدول الاستعمارية قائلين: عندكم مصاعبكم في المجر، وعندنا مصاعبنا في مصر، ولذا لا تتدخلوا في امورنا. ولكننا

اجبنا على هؤلاء الهامسين الجواب اللائق. فلم نغض النظر عن امورهم اللصوصية. بل تدخلنا واحبطنا عدوانهم.

هذا مثال عن حرب محلية شنها الاستعماريون واوقفت نتيجة لتدخل الاتحاد السوفييتي وكل المعسكر الاشتراكي.

لقد سبق وقلت ان الحروب المحلية غير مستبعدة في المستقبل ايضا. لهذا تتقوم مهمتنا في ان نكون دائما على اهبة، ونعبئ سواء قوى المعسكر الاشتراكي ام شعوب جميع البلدان وجميع القوى المحبة للسلام للنضال من اجل درء الحروب العدوانية. واذا ما كانت شعوب جميع البلدان متحدة ومعبأة، واذا ناضلت بلا كلل، موحدة جهودها سواء داخل كل بلد ام على الصعيد العالمي، امكن درء الحروب.

والآن عن **حروب التحرر الوطني**. مثالا على هذه الحروب في الآونة الاخيرة، كان النضال المسلح الذي خاضه الشعب الفييتنامي او حرب الشعب الجزائري التي دخلت سنتها السابعة.

هاتان الحربان بدأتا انتفاضتي شعبين مستعمرين ضد مضطهديهما وتنامتا الى حرب انصار.

ان الحروب التحررية ستقوم ما دام الاستعمار قائما وما دام الحكم الاستعماري قائما. وهذه حروب ثورية. ان حروبا كهذه ليست ممكنة وحسب، بل محتمة ايضا، لأن المستعمرين لا يمنحون الشعوب الاستقلال بملء الخاطر. لهذا لا تستطيع الشعوب الظفر بحريتها واستقلالها الا بالنضال، بما فيه النضال المسلح.

لماذا لم يقدم استعماريو الولايات المتحدة الاميركية، رغم رغبتهم في مساعدة المستعمرين الفرنسيين، على ان

يتدخلوا مباشرة في الحرب في الفييتنام؟ انهم لم يفعلوا هذا لأنهم كانوا يعرفون انهم اذا ساعدوا فرنسا بالقوات المسلحة، فان الفييتنام ستلقى العون المناسب من الصين والاتحاد السوفييتي وغيرهما من البلدان الاشتراكية، وان هذا قد يتحول الى حرب عالمية. اما مآل الحرب فمعروف: لقد انتصرت الفييتنام الشمالية.

والآن تدور رحى حرب مماثلة في الجزائر. فما هي هذه الحرب؟ انها انتفاضة الشعب العربي في الجزائر ضد المستعمرين الفرنسيين. وتدور رحاها بشكل حرب انصار. واستعماريو الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا يساعدون حلفاءهم الفرنسيين بالسلاح. ناهيك عن انهم سمحوا لفرنسا، المشتركة في حلف الاطلسي الشمالي، بارسال وحداتها العسكرية من اوروبا لاجل القتال ضد الشعب الجزائري. كذلك يلقى الشعب الجزائري العون من البلدان المجاورة وغيرها التي تعطف على مطامحه الى التحرر. ولكن هذه حرب تحررية يخوضها شعب من اجل استقلاله. هذه حرب مقدسة. ونحن نعترف بحروب كهذه، ونساعد وسوف نساعد الشعوب المناضلة من اجل حريتها.

او لنأخذ مثال كوبا. هناك ايضا كانت حرب. ولكنها ايضا بدأت انتفاضة ضد النظام الاستبدادي الداخلي الذي كان الاستعمار الاميركي يقف وراءه. كان باتيستا صنيعة الولايات المتحدة الاميركية، وكانت هذه الاخيرة تساعده بنشاط. ولكن الولايات المتحدة الاميركية لم تتدخل مباشرة بقواتها المسلحة في هذه الحرب. وانتصر الشعب الكوبي بقيادة فيدل كاسترو.

هل يمكن ان تقوم في المستقبل حروب كهذه؟ اجل. هل يمكن ان تقوم انتفاضات كهذه؟ اجل. ولكن هذه بالضبط حروب-انتفاضات شعبية. هل يمكن ان تنشأ في بلدان اخرى ظروف تطفح فيها كأس صبر الشعب فينتفض والسلاح في يده؟ اجل. ما هو موقف الماركسيين من انتفاضات كهذه؟ ايجابي ولا اكثر. فلا يجوز تشبيه هذه الانتفاضات بالحروب بين الدول، بالحروب المحلية لأن الشعب يناضل في هذه الانتفاضات من اجل تحقيق حقه في حرية تقرير مصيره بنفسه، في التطور الاجتماعي والتطور الوطني المستقل؛ وهذه انتفاضات ضد الانظمة الرجعية المنخورة، ضد المستعمرين. ان الشيوعيين يدعمون تماما وكليا مثل هذه الحروب العادلة ويسيرون في الصفوف الاولى من الشعوب التي تخوض النضال التحرري.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. حول نتائج اجتماع ممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية. ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦١. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٣٢-٣٧)

القضية اننا نحن شيوعيون، والحال ان جميع الشيوعيين الحقيقيين هم ضد حروب الفتوحات. وانهم لعلى خطأ عندما يزعمون احيانا ان للشيوعيين مصلحة في شن الحرب، لأنه يمكن عن هذا السبيل، على حد زعمهم، بلوغ

الاهداف الثورية. هذا غير صحيح، هذه صورة مشوهة عن الشيوعيين.

نحن الشيوعيين مخلصون كليا لافكار ماركس ولينين ونؤمن ان هذه الافكار ستنتصر وان الشيوعية ستنتصر في كل مكان، عاجلا ام آجلا، بوصفها النظام الاكثر تقدما. ولكننا نعتبر انه يجب على الشيوعية ان تحرز النصر لا بواسطة الحرب بين الدول، بل بطريق آخر هو طريق تبيان المزايا التي يقدمها النظام الشيوعي وتبيانها بوضوح وجلاء، وبنتيجة التطور الطبيعي للتناقضات التي ينطوي عليها النظام الرأسمالي، المجتمع الرأسمالي. ونحن نؤمن ان جميع الشعوب ستقتنع بان الشيوعية خير من الرأسمالية فتتخلى عن النظام القديم المفلس، وتفضل عليه النظام الجديد، الشيوعي.

اما حروب الفتوحات، فهي ملازمة للاستعمار، للرأسمال الاحتكاري. فهو عن هذا السبيل بالضبط بسط سيطرته في الماضي، ولا يزال يحتفظ الآن بهذه العادات. ولهذا ننظر نحن، بوصفنا شيوعيين، نظرة واقعية الى الامور ونقول: ما دام الاستعمار قائما، فمن الممكن ان تقوم الحروب. ولكن ليأخذ السادة الاستعماريون بالحسبان ان الازمنة قد تغيرت. فان الشعوب لن تغفر لهم شن حرب فتوحات جديدة وستصوب حتما سلاحها ضد اولئك الذين يشنونها، تماما كما فعلنا نحن عام ١٩١٧.

ومع ذلك نريد ان نؤمن ان لدى اخصامنا القدر الكافي من الفكر السليم لكي لا يبدأوا الحرب ولكي

يسيروا في طريق المباراة السلمية بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي.

هذه هي وجهة نظرنا في قضايا الحرب والسلم. فنحن، كما ترون، ضد حروب الفتوحات...

بودي ان اقول ايضا بضع كلمات عن موقف الشيوعيين من الحروب لكي تفهموني بشكل صحيح.

نحن، كما سبق وقلت، ضد حروب الفتوحات ولكننا نعترف بشرعية وحتى بضرورة الحروب الدفاعية وحروب التحرر الوطني. فما هي هذه الحروب؟ الحرب الدفاعية هي حرب يهاجم فيها المعتدي بلدا فيتوجب على هذا البلد ان يدافع عن نفسه، يضطر الى الدفاع عن نفسه؛ وحرب التحرر الوطني هي حرب يهب فيها شعب يضطهده المستعمرون الى امتشاق السلاح لكي يظفر بحريته.

ان للشعب المضطهد حقا في هذا. وهو فضلا عن ذلك، لا يملك الحق وحسب، بل انه عاجلا ام آجلا ينهض الى النضال من اجل تحرره. فاذا ابدى المستعمرون مقاومة، كما كان الحال مثلا في الجزائر، فان الشعوب تضطر الى خوض النضال وامتشاق السلاح.

وبالفعل، اي مخرج آخر يمكنها ان تجد؟ ها هي ذي الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة قد اتخذت قرارا بمنح جميع الشعوب المستعمرة الاستقلال، ولكن المستعمرين يرفضون تنفيذ هذا القرار. فما عسى ان تفعل الشعوب المضطهدة؟ هل تسلم للتعسف، وتتألم بصمت؟ كلا. انها لا تريد بعد ان تسلم بالعبودية وهي تنهض الى النضال المسلح ضد المضطهدين وحقا تفعل. فعن هذا السبيل وحده

تستطيع نوال الحرية والاستقلال. ان حروبا كهذه هي التي نعتبرها حروبا تحررية. وعلى حروب كهذه نعطف.

(حديث مع الناشر الاميركي كولس.
مجموعة «يجب درء الحرب وصيانة
السلام!»، ص ص ٣٨ - ٣٩)

ان حزب لينين العظيم قد قاد الطبقة العاملة وشعوب روسيا الى الثورة، الى اقامة سلطة الشعب. ولقد قمنا بالثورة الاشتراكية لا لكي نخوض غمار الحروب، بل لكي نعيش بسلام ونبني حياة جديدة في الارض، لكي نبني الاشتراكية، لكي نبني الشيوعية، لكي يستطيع الشعب ان يمجد بعمله وطن اكتوبر العظيم، ويكثر مكتسبات الاشتراكية ويبين للانسانية قاطبة اي نجاحات يستطيع ان يحرزها شعب حطم الى الابد سلاسل الرأسمالية.

عند العسكريين في قواتنا المسلحة الباسلة تقليد طيب قوامه تربية الجنود بروح تجعلهم لا يرتجفون في القتال، وتحمل العسكري، اذا ما اقتضى الوطن، ان يهب حياته في اي وقت، في اي لحظة، ودون تردد، من اجل سعادة الشعب، من اجل انتصار القضية الكبرى التي هي قضية الاشتراكية. ولكن ان يهب حياته بالضبط من اجل سعادة الشعب، من اجل انتصار قضيته الكبرى، انتصار الاشتراكية، انتصار الشيوعية.

ولكن عندما يقولون ان الشعب الذي قام بالثورة انما يجب عليه ان يبدأ حربا ستكون حربا حرارية نووية

عالمية، ان يشن حربا كهذه من اجل انشاء مجتمع اوفر ازدهارا على جثث الملايين والملايين من الهالكين في هذه الحرب وعلى انقاض العالم، فان هذا يستحيل على الفهم، ايها الرفاق! فمن ذا الذي سيبقى بعد حرب كهذه على هذه «الارض المزدهرة»! نحن لا يسعنا ان نوافق على مزاعم كهذه.

ثم هل يعرف اصحاب امثال هذه المحاكمات انه لو تم تفريغ جميع الشحنات الصاروخية النووية الموجودة، لتلوث جو الارض الى حد انه ليس من المعلوم اي حال ستكون حال الذين يبقون على قيد الحياة، أتراهم لن يحسدوا الاموات؟ اجل، اجل، ايها الرفاق، هكذا توضع المسألة!

اننا نقول للذين يربطون انتصار الاشتراكية بحرب كهذه اننا لا نستطيع ابدا ان نوافق على هذا.

عندما تحققت ثورة اكتوبر في بلادنا ورسخت سلطة السوفييتات، سرّح الجيش في روسيا السوفييتية بناء على اقتراح من لينين. وطبق عندنا التعليم العسكري العام. ولم نشرع في انشاء الجيش الا عندما فرض العدو الحرب على دولتنا السوفييتية الفتية. وللذود عن مكتسبات الثورة وعن جمهورية السوفييتات الفتية، عن اول دولة للعمال والفلاحين في العالم، كان لا بدّ من السلاح. ولكي يستطيع الناس استيعاب استعمال هذا السلاح، كان ينبغي انشاء جيش. وجيشا كهذا انشأه الشعب الثوري في روسيا السوفييتية.

والآن يتظاهر الاستعماريون بالجسارة، ولكنهم يتجاسرون بالاقوال، بينما ترتعد فرائصهم اساسا امام عالم

الاشتراكية التي تنمو وترسخ. فلترتعد فرائصهم لما فيه خيرنا نحن.

وهل ان انتصار الاشتراكية، انتصار الشيوعية بحاجة، يا ترى، الى حرب عالمية؟ وان من ظهرت عندهم حكة الحرب، ومن يعتقدون ان الحرب العالمية ضرورية لانتصار الاشتراكية، انما يشغلون موقفا كهذا لا بسبب البسالة، بل بسبب عدم الثقة في قوى الطبقة العاملة، في قوى الاشتراكية. وهم، على ما يبدو، لا يؤمنون بان في مستطاع البلدان حيث السلطة بيد الشعب ان تتغلب، في ظروف التعايش السلمي، على الرأسمالية في الجبهة الاقتصادية والعلمية والثقافية، وبانه يمكن، بالاعتماد على بأس البلدان الاشتراكية الاقتصادي وعلى قواها المسلحة، ابقاء الاستعماريين في حالة الذعر، والحيلولة دونهم وشن الحرب العالمية.

ان هؤلاء الرفاق يقولون انه تستحيل صيانة السلام نظرا لميزات الاستعمار الخاصة. اما ان طبيعة الاستعمار الوحشية لم تتغير ولا يمكنها ان تتغير، فهذا امر صحيح تماما. ونحن جميعنا نقول هذا وحقا نقول. ولكن سياسة البلدان الاستعمارية يحددها كذلك اناس، ايها الرفاق. ولهؤلاء الناس ايضا علبة دماغ ودماغ. اما في اي اتجاه تدور كريات دماغهم، فهذه مسألة اخرى. نحن شيوعيون، ولدينا اتجاه فكري واحد، بينا الاستعماريون يفكرون في اتجاه معاكس. ولكن الاستعماريين، — اذا لم نقصد الكلبانين الذين يمكن توقع كل شيء منهم، — مضطرون هم ايضا الى

حسبان الحساب للواقع الفعلي، للنسبة التي تغيرت بين القوى العالمية، لنمو القوى التي تؤيد السلام والاشتراكية.

واذا سرنا وراء منطق بعض الرفاق، ترتب ان لا تقوم لنا اي صلة مع الاستعماريين على العموم. يقينا لو ان الجميع يفعلون ويفكرون في الاتجاه الشيوعي، لما كانت ثمة طبقات متناحرة، ولانتصرت الشيوعية في كل مكان. ولكنه ما دام ثمة نظامان، الاشتراكي والرأسمالي، فلكل نظام سياسته واتجاهه، وليس في وسعنا ألا ناخذ بعين الاعتبار واقع وجود النظامين. ان الصراع يحتدم بين هذين النظامين، وهو صراع حياة او موت. ولكننا نحن الشيوعيين نريد ان ننتصر في هذا النضال باقل الخسائر؛ اما اننا سننتصر، فهذا امر لا شك فيه على الاطلاق! ولهذا نعمل للنصر، لانتصار الشيوعية دون شن حرب حرارية نووية عالمية.

قد يطرح السؤال: لماذا الروس والاوكرانيون والاوزبكيون وغيرهم من شعوب الاتحاد السوفييتي — ولن اعدد الجميع لأن في بلادنا مائة قومية واكثر، — لماذا المجريون وشعوب البلدان الاشتراكية الاخرى، لماذا هم يؤيدون الاشتراكية ولماذا، مثلا، في بريطانيا او في الولايات المتحدة الاميركية لم تنتصر بعد افكار الاشتراكية، افكار الشيوعية. عن هذا يمكن الجواب: ايها الرفاق، ان الامور مرهونة باوقاتها. سيأتي زمن — وفي هذا نحن مؤمنون عميق الايمان — تنهض فيه الطبقة العاملة والشغيلة في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان الرأسمالية الى النضال الحاسم في سبيل الاشتراكية. ونحن نتحدث عن هذا على المكشوف، ولقد

صرحت به ايضا يوم كنت في الولايات المتحدة الاميركية لأننا نعلم ان المستقبل للطبقة العاملة في العالم كله، ان المستقبل للشيوعية!

ولكن، لأجل تعجيل مجيء هذا الزمن، ينبغي لنا ان نكدح، ينبغي لنا ان نبرهن في الواقع مزايا النظام الاشتراكي.

منذ وقت قريب جدا، عندما كان ممثلو الاتحاد السوفييتي يتحادثون مع ممثلي الدول الرأسمالية ويقولون لهم ان بلادنا ستلحق حتما بالولايات المتحدة الاميركية في المباراة الاقتصادية، حك الرأسماليون اقفيتهم وفكروا اغلب الظن: هذه ثرثرة، لا يجوز تصديقها. اما الآن فهم يقولون قولا آخر: «نحن نشعر الآن على اقفيتنا بنفس الاتحاد السوفييتي الذي يقترب منا». هذا، كما يقال، فرق كبير!

عندما نقول ان الاشتراكية خير من الرأسمالية، فليس الجميع يفهمون هذا القول فهما جيدا بعقولهم؛ فان بعضهم لا يقيس الحياة الا بالخيرات التي يحصل عليها، ويمكن القول انه يتحسس الحياة بواسطة معدته. يقينا انه لا يجوز الوقوف من الحياة موقفا كهذا. ولكنه ينبغي ان يؤخذ بالحسبان اي خيرات ينالها الناس فعلا. نحن نقول للرأسماليين: عندكم بطالة، اما عندنا فلا بطالة. وعلى هذا يردون: العاطلون عن العمل عندنا يحصلون على اكثر مما يحصل الذين يشتغلون عندكم. اجل، هكذا كان الحال، مع الأسف، عندما بدأنا للتو في بناء الاشتراكية في بلدان متأخرة اقتصاديا وخربتها الحرب.

ينجم بالتالي انه ينبغي لنا ان نطور اقتصادنا لكي تسبق البلدان الرأسمالية في المضمار الاقتصادي، في رفع مستوى حياة الناس كافة. وكيف يمكن التوصل الى هذا؟ بالحرب؟ كلا! ان الحرب لن تفعل غير ان تتسبب بضحايا جديدة وتدميرات جديدة. لا يمكن التوصل الى هذا الا بالعمل، باستغلال مزايا النظام الاشتراكي العظيمة التي تؤمن سيرنا الى الامام في طريق بناء الاشتراكية والشيوعية. انما ينبغي فقط استغلال هذه المزايا الكبيرة، مزايا الاشتراكية، بمهارة، ايها الرفاق!

انه لم يبق بعيدا ذلك الزمن الذي تسبق فيه البلدان الاشتراكية ارقى بلدان الرأسمالية في الميدان الاقتصادي ايضا. وسينال الانسان السوفييتي قدرا من الخيرات المادية يربو على ما يناله الناس في بلدان الرأسمالية. اما النعم الروحية والثقافية فلا لزوم للحديث عنها، فان السوفييتيين يتفوقون الآن في هذا المضمار على كل عالم الرأسمالية.

وفي الميدان العسكري تفوقنا الآن على الاستعماريين. ان اعداءنا يعرفون انهم اذا ما هاجمونا وشنوا حربا عالمية جديدة، احترقوا هم انفسهم في نيرانها.

لقد اثبت النظام الاشتراكي تفوقه على النظام الرأسمالي في وتائر التطور الاقتصادي. وينبغي ان تتحول الكمية الى كيفية لكي نحرز قصب التفوق على الدول الرأسمالية من حيث الانتاج بالنسبة لكل فرد من السكان، وآنذاك سيقول حتى ذاك الذي لا يتحسس الحياة الا عن طريق معدته: الشيوعية انما هي نظام جيد، وهي تصلح لي ايضا خصوصا وان مائدة الذين يبنون الشيوعية عامرة اكثر من مائدتي.

تنامي مستوى الحياة على الدوام في البلدان الاشتراكية، ترى، أليس هذا، ايها الرفاق، دليلا على انتصارات الاشتراكية؟ وهل يمكن لاحد، يا ترى، ان يعترض على هذا؟

ان بعض الرفاق يتهمون حزبنا باننا نولي القضايا الاقتصادية قدرا كبيرا من الانتباه وان هذه هي، على حد قولهم، «الاقتصادية» التي شجبها لينين. ولكن هذا تشويه لمذهب لينين. لقد وقف الحزب، حسب اختلاف الزمن، موقفا مختلفا من القضايا الاقتصادية. قبل ثورة اكتوبر بوقت طويل، ناضل لينين والبلاشفة ضد الذين كانوا ينادون باحراز التنازلات الاقتصادية من جانب الرأسمالية، وبتحسين الوضع المادي وحسب، وينكرون النضال السياسي على الطبقة العاملة، ولم يهيئوها للاستيلاء على السلطة. وفي ذلك الوقت، دعا حزبنا الى الجمع بين النضال في سبيل الحقوق السياسية والنضال في سبيل تحسين الوضع الاقتصادي لدى العمال والفلاحين وجميع الكادحين.

لقد علّم لينين ان قضايا البناء الاقتصادي تكتسب الاهمية الفاصلة في نشاط الحزب والحكومة عندما تكون الطبقة العاملة قد اخذت السلطة بيدها، واننا بنجاحاتنا الاقتصادية نمارس تأثيرنا الرئيسي في الثورة العالمية. ان الطبقة العاملة والشعب الشغيل، اذ ياخذان السلطة في ايديهما، ينظمان الانتاج بمهارة، ويذودان عن مكتسباتهما الثورية. ولقد اجاد شاعرنا البديع ماياكوفسكي حين قال: «ميليشيتي تحميني!». وعندنا ليست الميليشيا وحدها تحرس مكتسبات الاشتراكية.

واكرر: نحن نؤمن بانتصار النظام الاشتراكي على نظام

الرأسمالية في المباراة الاقتصادية السلمية. وان عدم الايمان بقوة الطبقة العاملة وامكانياتها وبقوة النظام الاشتراكي، انما يعني السير في ذيل ايديولوجيي الاستعمار وخدمة مآربهم، وهم الذين يحاولون ان يبرهنوا على ان التفوق الى جانب النظام الرأسمالي لان له، على حد زعمهم، حوافزه الخاصة. فما هي اذن هذه الحوافز؟ انها المشروع الخاص، انها التعطش الى الاثراء.

فهل يسع الشيوعيين والعمال والكادحين ان يوافقوا، يا ترى، على انه لا يمكن التوصل الى مستوى اعلى للانتاج الا في ظل الرأسمالية، تحت طائلة الجوع والبطالة، تحت سوط الاستثمار! كلا، هذا افتراء على الطبقة العاملة! ففي ظل الاشتراكية بالضبط، حيث الحرية الفعلية، يتطور الاقتصاد والعلم والثقافة تطورا عاصفا لا سابق له...

لقد استشهد مرارا عديدة بكلمات لينين الرائعة حول ان قوة الاشتراكية تكمن في المثال الذي تضربه لشغيلة البلدان الرأسمالية في انشاء شروط افضل لحياة الانسان. ان عمل الناس الاحرار الحر هو الذي يشكل ينبوع جميع الخيرات في كل بلد اشتراكي. وان توطيد جبروت النظام الاشتراكي هو معجل قوي للتطور الثوري العالمي.

ان الشيوعيين والشعوب في البلدان الاشتراكية يذودون عن قضية السلام بدأب وانسجام ومثابرة. فالحرب العالمية ليست ضرورية لا لبناء الاشتراكية والشيوعية ولا لتعجيل الثورة العالمية. فحتى في عام ١٩١٨ كتب لينين في مقال «غريب وفظيع» منتقدا «الشيوعيين اليساريين» فقال: «لعل المؤلفين يفترضون ان مصالح الثورة العالمية تمنع

اي سلام كان مع الاستعماريين؟.. ومن وجهة مثل هذه الآراء، لا يمكن للجمهورية الاشتراكية وسط الدول الاستعمارية ان تعقد اي اتفاقات اقتصادية ولا يمكن ان يكون لها وجود اذا لم تطر الى القمر.

ولعل المؤلفين يفترضون ان مصالح الثورة العالمية تتطلب **دفعها**، وهذا الدفع لن يكون سوى الحرب، ولن يكون في اي حال من الاحوال سلاما من شأنه ان يخلق في الجماهير انطباعا من نوع «افضاء الشرعية» على الاستعمار؟ ان «نظرية» كهذه تناقض تماما الماركسية التي انكرت على الدوام «دفع» الثورات التي تتطور بقدر ما تنضج حدة التناقضات الطبقية التي تولد الثورات. ان نظرية كهذه تشبه الرأي القائل ان الانتفاضة المسلحة هي شكل للنضال الزامي دائما وفي جميع الظروف»*.

هكذا حدد لينين الاتجاهات الاساسية لسياستنا في المسرح الدولي. ولقد اكتسبت هذه الافكار اللينينية اهمية خاصة في زمننا. فالنظام الاشتراكي العالمي يتحول في الظروف الراهنة الى العامل الحاسم في تطور المجتمع البشري، ويتنامى تفوق قوى الاشتراكية والسلام والديموقراطية على قوى الاستعمار والرجعية والعدوان. وظهرت امكانية فعلية لدرء الحرب العالمية.

وهذه ليست امكانية وحسب، بل ايضا ضرورة حيوية لشعوب الكرة الارضية. وليس الشيوعيون وحدهم، بل

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٢٧، ص ٤٩.

ايضا اوفر الساسة من بلدان العالم الرأسمالي سلامة تفكير لا يسعهم الا يأخذوا بالحسبان عواقب الحرب العالمية الحرارية النووية الحديثة.

وبقدر ما يدرك الناس خطر الحرب الحرارية النووية على وجه افضل، بقدر ما سيعملون بمزيد من النشاط والحزم ضد مغامرات الاستعمار الحربية وضد الاستعمار بالذات بوصفه مصدر الحروب. وان اشد قوى الاستعمار الاميركي عدوانية، لخوفها بالضبط انقلابا كهذا في الامور، تسعى الآن الى تصوير الحرب الحرارية النووية بصورة مأساة بشرية اخرى لا مناص منها، شأنها شأن المآسي الكثيرة التي حدثت في التاريخ. وانه لمن غير المغفور لو شرع الشيوعيون يتكتلون في هذا الخداع مع الاستعماريين ولو اخذوا يخفون الحقيقة عن الشعوب.

ان الشيوعيين يناضلون من اجل تصفية الرأسمالية في الارض تصفية تامة، من اجل انتصار الثورة الاشتراكية. ونحن مقتنعون بان جميع الشعوب ستقضي آجلا ام عاجلا على هذا النظام الذي يولي زمنه. ولكن مسالة انتصار الاشتراكية في كل بلد انما يحلها شعب هذا البلد والطبقة العاملة الثورية والحزب الماركسي-اللينيني، لا شعوب اخرى، لا احزاب اخرى. وبالاحرى لا عن طريق شن الحرب الحرارية النووية العالمية.

ينجم من محاكمات بعض الناس كأنه يحق لبلد اشتراكي ما، للحزب الشيوعي في هذا البلد شن الحرب على هذا البلد الرأسمالي او ذاك، كاتبا على رايته ان هذه الحرب التي ستتحول حتما الى حرب حرارية نووية عالمية قد

بدئت، حسب قوله، من اجل تحرير الطبقة العاملة في البلد المعني من الاضطهاد الرأسمالي.

اننا نتساءل: من اعطى امثال هؤلاء «النظريين» الحق في التصرف، كما يطيب لهم، بمصائر شعوب البلدان الاخرى؟ ان الشغيلة والطبقة العاملة في هذه البلدان سيقولون لهم: نحن نناضل وسوف نناضل في سبيل انتصار الاشتراكية، ولكن هذا النصر انما يجب ان نظفر به في غمرة النضال الطبقي في بلداننا، لا عن طريق شن الحرب الحرارية النووية العالمية.

وفضلا عن ذلك، اذا اخذنا بوجهة نظر امثال هؤلاء «النظريين»، فيجب الا يغيب عن البال الجانب الآخر ايضا من هذا «الحق». فوفقا لمثل هذا المنطق، يكون كذلك من «حق» البلدان الاستعمارية ان تشن الحرب على البلدان الاشتراكية لكي تعيد الاوضاع الرأسمالية في هذه البلدان.

ان معلمنا العظيم فلاديمير ايليتش لينين، تبريرا ودعما لموقفنا في هذه القضايا، قال اننا نقف بحزم ضد تصدير الثورة الى البلدان الاخرى. ونحن كذلك نقف بحزم ايضا ضد تصدير الثورة المضادة.

نحن نؤمن بتنامي تفوق النظام الاشتراكي على الرأسمالية. نحن نؤمن بالقوة الجبارة لدى الطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطني وجميع الذين يعملون ضد نير الاستعمار ونظام الحكم الاستعماري. وان من ينكر امكانية انتصار القوى الثورية للطبقة العاملة في النضال الطبقي في ظروف التعايش السلمي، لا يؤمن بما للطبقة

العاملة من طاقة ثورية وعزيمة ثورية، ويستعظم قوى الاستعمار، ويبدي الخوف امامه.

نحن نؤمن بقوة الطبقة العاملة، بقوة الشعوب، بحكمتها، بسعيها الى الذود عن الحياة في الارض، ونحن نفعل كل شيء لكي نعبئ للنضال ضد العدوان والحرب جميع الذين تعز عليهم مصالح السلام، ونفعل كل شيء لكي نساعد اخواننا في الطبقة على التحرر من نير الاستعماريين والمستعمرين، ونفعل كل شيء من اجل انتصار الاشتراكية في الارض قاطبة.

(خطاب في الاجتماع الحاشد للصداقة السوفييتية المجرية. ١٩ تموز (يوليو) ١٩٦٣. «البرافدا»، ٢٠ تموز ١٩٦٣)

الثورة والسلام

اسمحوا لي بان اتوقف عند بعض القضايا الهامة والملحة في الحركة الشيوعية العالمية. قبل كل شيء، اود لو اتحدث عن الصلة بين النضال من اجل السلام، من اجل التعايش السلمي وبين النضال الثوري الذي تخوضه الطبقة العاملة وجميع الشغيلة من اجل انتصار الاشتراكية في الارض.

في ايامنا، يتقوم الحال في ان النضال من اجل السلام قد اصبح أهم شرط للنضال من اجل الاشتراكية. فلا يمكن الآن بحث اي قضية من قضايا الحركة الثورية للطبقة العاملة وحركة التحرر الوطني بمعزل عن النضال في سبيل

السلام، في سبيل درء الحرب الحرارية النووية العالمية. وفي هذا على وجه الضبط تتلخص العبرة الكبيرة التي تنجم من الاحداث الاخيرة في منطقة البحر الكاريبي بالنسبة لتاكتيك الحركة الشيوعية العالمية.

لقد كانت في تاريخ الحركة العمالية حالات غدا فيها النضال من اجل السلام الشرط الرئيسي للنضال من اجل الاشتراكية. هكذا بالضبط كان الحال في مرحلة ثورة اكتوبر الاشتراكية. وقد قال لينين: «اي شيء يمكن ان يكون اقل مدعاة للجدال واشد وضوحا من الحقيقة التالية: ان حكومة تعطي شعبا معذبا من حرب لصوصية طوال ثلاثة اعوام، السلطة السوفييتية والارض والرقابة العمالية **والسلام**، هي حكومة لا تقهر؟ السلام هو الرئيسي»*.

لقد أمن البلاشفة السلام لشعوب روسيا، والخروج من الحرب الاستعمارية ورصوا حول السلطة السوفييتية في النضال من اجل الاشتراكية اوسع جماهير الشغيلة.

وخاصة عصرنا ان النضال في سبيل السلام أصبح، اكثر من اي وقت مضى، أهم مهمة تاريخية لا بالنسبة للطبقة العاملة وحسب، بل ايضا بالنسبة لجميع فئات السكان الاخرى. وهذه هي العقدة التي تتشابك فيها مصالح البشرية جمعاء. وازاء خطر الحرب الحرارية النووية يتشكل سيل موحد من اشد الحركات الجماهيرية تنوعا، حركات في وسعها ان تتحد في سعي عام الى تخليص الانسانية من الكارثة الحربية. والقوة القائدة والمنظمة في هذا السيل هي الطبقة

* لينين. المؤلفات، المجلد ٢٧، ص ١٧.

العاملة العالمية والبلدان الاشتراكية. وهذا ليس لأن بلدان الاشتراكية قد تبنت بكل بساطة هذا الشعار الشعبي بين الشعوب، شعار النضال من اجل السلام. كلا، فان الامر يفسّر بكون المصالح الموضوعية للبلدان الاشتراكية، ومصالح الحركة العالمية للطبقة العاملة وحركة التحرر الوطني لا تنفصل عن النضال في سبيل درء الحرب الحرارية التووية.

لقد ناضل ماركس ولينين في سبيل درء حروب الفتوحات. وفي صفوف الاممية الثانية، وقف لينين بحزم ضد العسكرية وخطر الحرب، ضد خطر الحرب الاستعمارية العالمية الزاحفة آنذاك. وتطبيقا للخطة اللينينية، صوت النواب البلاشفة في مجلس دوما الدولة ضد الميزانية الحربية، ووقفوا ضد الحرب، فنفتهم القيصرية لهذا الى سيبيريا الى معتقلات الاشغال الشاقة. وكارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ، اللذان وقفا على المواقف الاممية الماركسية، ناضلا ضد الحرب بجميع ما تحت تصرفهما من الوسائل. ومعروفة كذلك الواقعة التالية: في مؤتمر الاممية الثانية صافح قائد الاشتراكيين اليابانيين صن كاتاياما، ممثل الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس بليخانوف، مصافحة ودية، دليل احتجاج على الحرب الاستعمارية التي كانت قائمة بين اليابان وروسيا.

وهناك كثرة من الوقائع التاريخية تشهد على ان ماركس ولينين واتباعهما قد ناضلوا بلا كلل ضد حروب الفتح غير العادلة وحشدوا الجماهير الشعبية الغفيرة على هذه المواقف المعادية للحرب.

والآن، يقول البعض ممن يسمون انفسهم بالماركسيين-اللينينيين ان الدفاع عن السلام والنضال ضد خطر الحرب يناقضان، على حد زعمهم، روح الماركسية-اللينينية ويعرقلان تطور الحركة الثورية. ولو صدقنا هؤلاء القوم، لكانت النتيجة ان لينين وكارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ والبلاشفة الروس لم يكونوا ماركسيين لأنهم وقفوا ضد الحرب. وهذا ما لا يمكن ان يزعمه غير الذين لا يفهمون جوهر المذهب الماركسي بصدد النضال الثوري.

ان نظرية الاشتراكية العلمية، التي وضعها ماركس وانجلس، تنطلق من كون الرأسمالية تؤول حتما الى الهلاك في سياق تطورها نتيجة للتناقضات التناحرية التي تنبثق وتتأزم في صلب المجتمع.

ان تمركز وانحصار الرأسمال يفضيان الى الاحتكارات والى تعفن الرأسمالية اكثر فاكثر، الامر الذي يهيئ الشروط للانتقال الى نظام اجتماعي اعلى، هو الاشتراكية. والرأسمالية تخلق بنفسها في مجرى تطورها، كما علم ماركس، حفار قبرها بشخص الطبقة العاملة.

ولقد أكدت الحياة كليا صحة المذهب الماركسي-اللينيني. فوفقا لهذا المذهب، تحرز الطبقة العاملة النصر على الرأسمالية، لا عن طريق شن الحروب بين الدول، بل بالنضال الطبقي ضد المستثمرين.

لقد تكوّن التاريخ بحيث ان البروليتاريا في روسيا حققت انتصار الثورة في غضون الحرب العالمية الاولى. وبعد الحرب العالمية الثانية، نشأت جملة من الدول الاشتراكية.

عندما تبدأ الحروب بين البلدان الاستعمارية، تتازم جميع تناقضات الاستعمار الداخلية والخارجية، ويختل جهاز الدولة البرجوازي، وينشأ وضع ملائم لانتصار الطبقة العاملة وخاصة في البلدان التي تمنى بالهزيمة في هذه الحروب.

ولقد أخذ لينين بالحسبان جميع هذه الاعتبارات على وجه الضبط، وقدم في مستهل الحرب العالمية الاولى موضوعته التاريخية بصدد تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية. وهذا ما فعله البلاشفة الروس والطبقة العاملة في روسيا.

ولكن هذا لا يعني اطلاقا ان البلاشفة برئاسة لينين شنوا حربا بين الدول لكي يحققوا انتصار الثورة. بل بالعكس. فان لينين والبلاشفة قد فعلوا كل شيء للحيلولة دون نشوب الحرب، ولكن، بما ان القوى لم تكن كافية لدرء هذه الحرب، عرضوا آنذاك مهمة تحويل الحرب الاستعمارية الى حرب اهلية.

وهذا ليس ابدا ما يريده النظريون الحديثو المولد، الذين يحاولون خلق «نظرية» تقول بان الطريق الى انتصار الاشتراكية تمر عبر الحرب بين الدول، عبر الدمار وعبر دم وموت الملايين من البشر. ولو استرشد الشيوعيون «نظرية» كهذه، لما اجتذبت اليهم الجماهير الشعبية، بل نفّرتها عنهم. ان «نظرية» كهذه تنفّر على الاخص في عصرنا الصاروخي النووي. لقد اولى الماركسيون-اللينينيون على الدوام قضايا الحرب والسلّم انتباها كبيرا وبحثوها دائما بحثا ملموسا تاريخيا. فلا يجوز حل قضايا الحرب

والسلم دون حسبان الحساب للوضع الفعلي. يجب ان نتحلى بالرجولة وننظر نظرة سليمة الى الوقائع الفعلية وجها لوجه، ونزن بدقة علمية الى ما تؤول الحرب العصرية اذا لم يمكن درؤها. ففي الوقت الحاضر، كما يستفاد من حسابات العلماء والاختصاصيين العسكريين الاجانب، تملك الولايات المتحدة الاميركية قرابة ٤٠ الف قنبلة نووية ورأس نووي. والاتحاد السوفييتي، كما هو معلوم، يملك ايضا من هذه الطيبات اكثر مما يكفي. فماذا يحدث اذا ما ألقي بكل هذا السلاح النووي على رؤوس الناس؟ يستفاد من حسابات العلماء ان ٧٠٠-٨٠٠ مليون نسمة سيهلكون من الضربة الاولى وحدها، وعن وجه الارض تمحى وتدمر جميع المدن الكبرى لا في الدولتين النوويتين الرئيسيتين الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفييتي وحسب، بل ايضا في فرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا والصين واليابان وكثرة من بلدان العالم الاخرى، وتؤثر عواقب الحرب الذرية الهيدروجينية في حياة اجيال عديدة من البشر متسببة بالامراض والوفيات، ومفضية الى تشويه تطور الانسان اكبر التشويه.

وانا اتكلم عن كل هذا لا لأخيف احدا ما، بل اني بكل بساطة اورد المعطيات التي يملكها العلم. ولا بدّ من اخذ هذه المعطيات بعين الاعتبار.

لا ريب في ان نظام الرأسمالية الذي يولد الحروب سيهلك حتما نتيجة للحرب الحرارية النووية العالمية اذا ما شنها المجانين الاستعماريون. ولكن، هل تكسب البلدان الاشتراكية وقضية النضال من اجل الاشتراكية في العالم كله

من الكارثة الحرارية النووية العالمية؟ ان الذين يغمضون عيونهم عن الوقائع قصدا وعمدا هم وحدهم الذين يسعهم ان يفكروا هكذا. اما الماركسيون-اللينينيون، فانهم لا يستطيعون التفكير في بناء الحضارة الشيوعية على انقاض المراكز الثقافية العالمية، على ارض مجتاحة لوثتها الرواسب الحرارية النووية. هذا ناهيك عن ان قضية الاشتراكية تزول على العموم بالنسبة لعدد عديد من الشعوب، لأن هذه الشعوب ستمحى محوا من على وجه كوكبنا.

(كلمة في المؤتمر السادس للحزب الاشتراكي الالماني الموحد. ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٣. موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٦٣، ص ص ٣٠-٣٣)

ان أهم الاحداث في المسرح الدولي في مرحلة ما بعد الحرب تبين بصورة مقنعة ان البشرية تسير ابدا ودائما في الطريق الى انتصار الشيوعية في العالم كله.

وامام انظارنا تنمو وترسخ قوى زمننا العظيمة: فان جبروت النظام الاشتراكي العالمي يتعاظم، وحركة التحرر الوطني تحرز النجاحات تلو النجاحات، والنضال الثوري الذي تخوضه الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية يتطور، وحركة جميع القوى التقدمية من اجل السلام والديموقراطية، من اجل الحقوق الحيوية للشعوب تتعزز.

ان بلادنا السوفييتية، وطن لينين، وطن اكتوبر

العظيم، تصبح اكثر فاكثر جبروتا، وتسهم بقسطها في القضية الاممية لشغيلة البلدان كافة.

ونحن الشيوعيين يسرنا نمو جميع الحركات التقدمية، جميع الحركات التحررية في زمننا. ونحن من صميم الروح حيينا سواء النصر الرائع الذي احرزه الشعب الجزائري في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي ام نصر عمال المناجم الفرنسيين في النضال من اجل تحسين شروط حياتهم. ويسرنا الانتصار الذي احرزه الشيوعيون الايطاليون في الانتخابات البرلمانية، في غمرة من النضال الحاد ضد قوى الرجعية. وتسرنا منجزات شغيلة الجمهورية العربية المتحدة في بناء سد اسوان. ونحن نحيي نضال شعب انغولا ضد المستعمرين البرتغاليين وبطولة الثوريين البرتغاليين والاسبانيين الذين لا يضنون بالحياة في النضال ضد الفاشيستية وسلطان الاحتكارات الكلي.

وحيثما احرز مناضلو الثورة النجاح، في اوروبا ام في افريقيا، في آسيا ام في اميركا اللاتينية، فان كل هذا يخدم في آخر المطاف هذه القضية العظمى التي هي قضية تحرير البشرية جمعاء.

أن الماركسيين-اللينينيين لا يخفون عن احد انهم يسعون وراء اجتذاب جميع سكان الارض الى جانب الاشتراكية. وفي هذا، نرى أهم مهمة تواجهنا في المسرح العالمي. ولكن، عن اي سبيل نمضي نحو هذا الهدف؟ اننا نمضي اليه لا عن سبيل شن الحرب، لا عن سبيل فرض نظمنا على الشعوب الاخرى. فبالعمل الخلاق، والقوة الانشائية الكبرى لدى الشعوب المتحررة، بعزيمة الكادحين

الثورية، نرفع سمعة الاشتراكية، ونغير باستمرار نسبة القوى في العالم.

ونحن ننطلق من توجيهات لينين القائلة ان قضايا البناء الاقتصادي تبرز بعد الظفر بالسلطة الى المرتبة الاولى امام الحزب الشيوعي وامام الشعب، واننا بنجاحاتنا الاقتصادية في بناء الاشتراكية نؤثر التأثير الحاسم في مجرى التطور العالمي. وبقدر ما تتطور القوى المنتجة في البلدان الاشتراكية بمزيد من السرعة وترتفع طاقتها الاقتصادية، بقدر ما يتطور نضال الشغيلة ضد نير الرأسمال بمزيد من الثقة والنجاح.

ان الماركسيين-اللينينيين يعتبرون ان مسألة انتصار النظام الاجتماعي الجديد تحلها البروليتاريا والجماهير الشغيلة والشعب في كل بلد، في غمرة النضال الطبقي.

ولكن هذا لا يعني ان البلدان الاشتراكية تقف في معزل عن النضال الطبقي الذي يخوضه شغيلة البلدان الرأسمالية من اجل اقامة النظام الجديد. كلا. ان شعوب البلدان الاشتراكية تؤثر تأثيرا هائلا، متناميا، في تطور الحركة التحررية جمعاء. فان نظام الدول الاشتراكية، اذ يحرز الانتصارات في سياق المباراة الاقتصادية، يبرهن امام العالم كله مزايا النظام الجديد العظيمة. واستنادا الى الوقائع اليومية في الحياة نفسها، تقتنع مئات الملايين الجديدة من الناس بما تنطوي عليه الشيوعية من امكانيات انشائية كبرى وتقف بحزم الى جانبها.

وفي ظروف التعايش السلمي والمباراة الاقتصادية مع الرأسمالية، طرأ في مرحلة ما بعد الحرب تغير جذري على

نسبة القوى الطبقية في المسرح العالمي. ففي الوقت الحاضر، ليس الاستعمار بل الاشتراكية، والقوى الثورية في الظرف الراهن، وجميع الشعوب المناضلة في سبيل تحررها الاجتماعي والوطني هي التي تحدد الاتجاه الرئيسي في التطور العالمي.

ان النسبة الجديدة في القوى على المسرح العالمي قد أتاحت لاول مرة في التاريخ طرح مهمة درء الحرب الحرارية النووية العالمية بوصفها مهمة واقعية تماما. وانها لسعادة لجميع أناس العمل، للانسانية جمعاء انه توجد في العالم قوى قادرة على لجم المعتدين وقطع الطريق على الحرب في هذه المرحلة المسؤولة من التاريخ، اذ كدس الاستعمار السلاح الفتاك، سلاح الابادة بالجملة.

لناخذ، مثلا، تاريخ السنوات الاخيرة. بعد صنع السلاح الحراري النووي، تطاول الاستعماريون غير مرة على هذا البلد او ذاك من البلدان التي تحررت من المستعمرين وحاولوا اعادة نير الحكم الاستعماري الى البلد المعني. ولكن مقاومة الشعوب المتحررة وتأييد البلدان الاشتراكية صدا هذه القوى العدوانية.

وانها لكبيرة امكانيات النضال من اجل السلام والاشتراكية، وهي تتنامى يوما بعد يوم. فحتى الكثيرون من قادة العالم الغربي يعترفون اليوم بباسنا مصرحين انه نشأ في العالم توازن معين بين القوى. لن نجادل في هذه التصريحات، مع انه يجب الاعتراف، لما فيه الصواب والحق، ان هذه النسبة تتغير ابدا ودائما في صالح الاشتراكية.

ان الماركسيين-اللينينيين ينطلقون من ان المبدأ المعقول الوحيد للعلاقات بين البلدان على اختلاف انظمتها الاجتماعية هو التعايش السلمي. وهذه السياسة التي اوصانا بها لينين انما اعتبرناها ولا نزال نعتبرها اتجاهنا العام في الحقل الخارجي. وهذه السياسة طبقناها عندما كنا اضعف بكثير من قوى الاستعمار المتحدة، وهذه السياسة نطبقها الآن ايضا اذ تتغير نسبة القوى، بصورة جذرية، في صالحنا. وسوف نناضل بثبات في المستقبل ايضا من اجل انتصار مبادئ التعايش السلمي.

لقد اعتبر حزبنا على الدوام ان التعايش السلمي يخلق ظروفا ملائمة من اجل تطوير النضال الطبقي الذي يخوضه الشغيلة في البلدان الرأسمالية، من اجل تطوير حركة التحرر الوطني بدأب وثبات. وبصورة مقنعة كليا، بينت تجربة نضال الشعوب الثوري بعد الحرب العالمية الثانية ان حركة التحرر قد تطورت في العالم اجمع بقوة خاصة في ظروف التعايش السلمي على وجه الضبط، اذ تصد البلدان الاشتراكية بالتحالف مع جميع الشعوب المحبة للسلام مساعي الاستعماريين العدوانية. وفي ظروف التعايش السلمي بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية، في هذه الظروف على وجه الضبط، انتصرت الثورة الكوبية المجيدة التي يسير على رأسها مناضلون متاججون حماسة لقضية الشعب.

وفي ظروف التعايش السلمي على وجه الضبط، يتنامى بدأب وثبات في بلدان الرأسمال نضال البروليتاريا الاضرابي وتشتد لحمتها ويتعاظم تنظيمها في النضال من

اجل مصالحها الحيوية، وضد سلطان الاحتكارات الكلي وانفلات الرجعية.

وبقيادة الاحزاب الماركسية-اللينينية تحمل الطبقة العاملة في جبهة واسعة على قوى الاستعمار، وستحرز النصر!

ان نفوذ الشيوعيين في الحركة العمالية يتنامى. ورغم الملاحقات القاسية التي يتعرض لها الشيوعيون في الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية واسبانيا والبرتغال واليونان وغيرها من البلدان، يوسع الشيوعيون نفوذهم بين شغيلة البلدان الرأسمالية ويحرزون النجاحات في توحيد قوى الشعوب ضد الاحتكارات والرجعية.

(كلمة في الاجتماع الحاشد للصداقة بين
شعبي الاتحاد السوفييتي وجمهورية كوبا.
٢٣ ايار (مايو) ١٩٦٣. «البرافدا»،
٢٤ ايار ١٩٦٣)

٤ ـ اعظم قوة العصر نفوذا

الحركة الشيوعية ـ ضرورة موضوعية

ان ايديولوجيي الاستعمار، والمحرفين الذين يغنون معزوفتهم، يسعون بكل الوسائل لتقويض نفوذ الاحزاب الشيوعية المتعاظم ويروجون القول الكاذب بان الحركة الشيوعية هي «من صنع اصابع موسكو» وان الاحزاب الشيوعية والعمالية تابعة للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي...

فمن السخف الاعتقاد ان من الممكن ان يصار من الخارج الى تنظيم حزب سياسي للطبقة العاملة في هذا البلد او ذاك، حزب ليس من النادر ان يضم مئات الآلاف من الاعضاء واحيانا الملايين...

ان الاحزاب الشيوعية لم تنشأ لان مركزا واحدا «يغرسها» في جميع البلدان. فان مثل هذه الاعجوبة لا تحدث في الطبيعة. وتاريخ تطور المجتمع يدل على ان الاحزاب الماركسية انما تنشأ مع نشوء ونمو الطبقة العاملة. وهذا يعني ان الحركة الشيوعية قد نشأت بوصفها

ضرورة موضوعية، وانها ولدتها نفس ظروف حياة الطبقة العاملة في كل بلد من البلدان. ففي جميع البلدان الرأسمالية، توجد طبقات وتوجد بالتالي احزاب سياسية تعبر عن مصالح هذه الطبقات. والاحزاب الشيوعية هي الاحزاب السياسية للطبقة العاملة، وستظل قائمة ما دامت الطبقة العاملة موجودة. ومن السذاجة ايضا الاعتقاد انه من الممكن ان يفرض من الخارج على ملايين من الناس متحدين في الاحزاب الشيوعية ما ينبغي لهم ان يفكروا به اليوم او ان يعملوه غدا.

(في الارقام التوجيهية لتطوير الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي لاعوام ١٩٥٩–١٩٦٥. تقرير في المؤتمر الحادي والعشرين الاستثنائي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الحادي والعشرون الاستثنائي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي المجلد الاول. موسكو، دار الدولة للمطبوعات السياسية، عام ١٩٥٩، ص ص ٩٠–٩١)

الاحزاب الشيوعية تنمو وتقوى

عندما نضع رصيد الانتصارات التاريخية العالمية التي احرزتها الحركة الشيوعية، نوجه اولى كلمات الشكر الى معلمينا العظام كارل ماركس وفريدريك انجلس وفلاديمير ايليتش لينين. فان مذهبهم قد جعل الحركة الشيوعية

العالمية كلية القوة وأمّن لها الانتصارات. ونحن اذ نضع ستراتيجيتنا وتاكتيكنا للمستقبل، نستشير من جديد ماركس وانجلس ولينين. ففي الامانة للماركسية-اللينينية ضمانة جميع انتصاراتنا المقبلة.

ان سبيل الحركة الشيوعية سبيل صعب وشائك. وان حزبا واحدا لم يكن نصيبه من المحن والضحايا قدر نصيب الشيوعيين. لقد حاول الكثيرون من الرجعيين القضاء على الشيوعية. ولكن الشيوعية خرجت من جميع هذه المحن اشد صلابة، وتحولت الى قوة جبارة في الظرف الراهن.

لقد رأينا جميعنا اشجارا جميلة جبارة تمد جذورها عميقا في الارض. ان هذه الاشجار لا تخشى لا العواصف ولا الزوابع. تهب العاصفة، وتحطم الاشجار النحيلة، بينا الشجرة الجبارة تظل شامخة لا تتزعزع، ويزداد رأسها كثافة وتتطاول اكثر نحو الشمس. وهكذا هي الحركة الشيوعية. فالرجعية الاستعمارية تثير عليها العاصفة تلو العاصفة، ولكن الحركة الشيوعية راسخة، وتنمو وتصلب.

منذ ٤١ سنة، انعقد هنا، في موسكو، المؤتمر الاول للكومنترن. وقد تمثلت فيه الاحزاب الشيوعية والمنظمات الاشتراكية اليسارية من ٣٠ بلدا. وفيما عدا الاحزاب الشيوعية من الجمهوريات التي تؤلف الآن قوام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، لم يكن آنذاك في عموم اوروبا سوى خمسة احزاب شيوعية. وفي آسيا وافريقيا واوستراليا واوقيانيا، لم يكن ثمة اي حزب شيوعي. وفي القارة الاميركية، لم يكن ثمة سوى حزب واحد هو الحزب الشيوعي الارجنتيني. اما الآن فان الاحزاب الشيوعية

والعمالية قائمة في ٨٧ بلدا. وهي تضم اكثر من ٣٦ مليون شخص. وقد استولت افكار الشيوعية على عقول الملايين من الناس في جميع انحاء الكرة الارضية. وهذا حسن، حسن جدا، ايها الرفاق!

ونحن نشهد ولادة احزاب شيوعية جديدة وجديدة. فبعد اجتماعي موسكو عام ١٩٥٧، تألف ١٢ حزبا واقامت صلات عالمية. ولو ان ماركس وانجلس ولينين استطاعوا ان يحضروا اجتماع ممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية في شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، فلكم كانوا سعدوا برؤية هذا الجيش الجبار ايما جبروت، جيش الشيوعيين في العالم أجمع!

وفي نمو صفوف الاحزاب الشيوعية، يتجلى انجذاب الجماهير الشعبية الى الشيوعية. وهذه واحدة من ظاهرات الظرف الراهن الرائعة.

ان النظام الشيوعي الذي يناضل الماركسيون-اللينينيون في سبيله، انما هيأه كامل مجرى التطور الاجتماعي، والانتقال اليه هو مهمة ناضجة. ولا بدّ للماركسيين-اللينينيين ان يعنوا، وهم يعنون فعلا، بتنوير سبل الانتقال الى المجتمع الجديد. وهنا يبرز عدد غير قليل من القضايا المعقدة. ولقد قدرت الاحزاب الشقيقة سامي التقدير قسط المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي في صياغة القضايا الناضجة. وان اجتماع ممثلي الاحزاب الشيوعية والعمالية عام ١٩٥٧ وندوة الحركة الشيوعية العالمية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٠ قد اوليا صياغة

هذه القضايا انتباها جديا، ودفعا الى الامام نظرية وتطبيق الحركة الشيوعية.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٥٢-٥٤)

الوحدة بين النظرية والتطبيق

نحن الشيوعيين، نولي النظرية الثورية اهمية بالغة، ونحن نحرز جميع نجاحاتنا لأننا على وجه الضبط نسترشد دائما المذهب الماركسي-اللينيني. ان نظرية الماركسية-اللينينية هي بوصلتنا، هي نجمتنا الهادية. وقوة الماركسية-اللينينية في صلتها التي لا تنفصم بالحياة، بمجريات التطور الاجتماعي.

معلوم ان الشعب الكادح يميل الى الاشتراكية قبل ان تكون له فكرة كاملة عن نظرية الاشتراكية العلمية. فان اناس العمل يريدون الخلاص من الرأسمالية، من مصائبها وعيوبها التي لا علاج لها. وهم يفتشون عن مخرج من ظلام الرأسمالية المطبق. وعندما ينظم الحزب الثوري، المسلح بالنظرية العلمية للشيوعية، العمال والفلاحين والمثقفين، التنظيم الصحيح، ويقودهم الى النضال من اجل بناء الحياة الجديدة، عند ذاك فقط، تغدو النظرية الماركسية-اللينينية مفهومة لدى اوسع جماهير الشغيلة وفي متناولها.

ان الحزب الماركسي، اذ يشرك جماهير الشغيلة في النضال الثوري العملي، ويوجهها نحو حل مهام تحويل المجتمع الملموسة، يخلق بالتالي الشروط التي يستطيع فيها العمال والفلاحون، لا ان يفهموا بالفكر وحسب صحة وحيوية مذهب الماركسية-اللينينية المظفر، بل وان يشعروا بهما من تجربتهم الخاصة. وعلى اساس النضال الثوري العملي والبناء الاشتراكي العملي، يجري تطوير المبادئ النظرية لاحقا.

ان الطبقة العاملة في روسيا، بالتحالف مع الفلاحين الكادحين، وبقيادة حزب الشيوعيين الذي طبق النظرية الماركسية وطورها بشكل خلاق، قد اخذت السلطة في يدها في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ لكي تعيد بناء الاقتصاد وكامل حياة البلاد على المبادئ الاشتراكية.

عندما وضع لينين العظيم في الاعوام الاولى من السلطة السوفييتية مخططات البناء الاشتراكي، طرح قضية هامة للغاية وهي قضية تطوير الصناعة الثقيلة، اي اس الاسس لنهوض فروع الاقتصاد الوطني كافة. وتحت قيادة لينين، وضع مخطط ملموس لكهربة بلادنا اسماه لينين برنامج الحزب الثاني. أفلا يدل هذا على ان لينين رأى الى قضايا نظرية وتطبيق البناء الاشتراكي في وحدتها التي لا تنفصم.

بعد ان تأخذ الطبقة العاملة السلطة في يدها، يتأتى على الدولة الاشتراكية ان تحل عددا عديدا من قضايا البناء الاقتصادي والثقافي. وفي سياق البناء الاشتراكي، تلقى نظرية الماركسية-اللينينية تجسيدا لها وتطويرا لاحقا لها.

خلال اربعين سنة من وجود الدولة السوفييتية، قام

حزبنا بعمل هائل، موجها جهود الشعب السوفييتي الخلاقة نحو بناء المجتمع الاشتراكي.

لنأخذ، مثلا، بعض القضايا التي حلها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي في الآونة الاخيرة. لقد قام الحزب بعمل كبير لاعادة تنظيم ادارة الصناعة والبناء، ولهذه العملية فعالية اقتصادية هائلة. ونتساءل: أهذه قضية نظرية ام قضية عملية؟ انها قضية تتسم باهمية عملية ونظرية جسيمة.

وقد اتخذ حزبنا جملة من التدابير الكبيرة في ميدان الزراعة، آلَ تحقيقها الى اكتشاف احتياطيات وامكانيات هائلة عندنا. فان الزراعة في الاتحاد السوفييتي لفي نهوض حاد الآن. وفي مستهل عام ١٩٥٥، وضع برنامج لتطوير تربية المواشي محسوب لستة اعوام. ونتيجة لتنفيذ التدابير التي وضعها الحزب على اساس المبادئ الماركسية-اللينينية لادارة الاقتصاد الاشتراكي، ونتيجة لفهم الجماهير فهما عميقا لضرورة هذه التدابير، نفذ برنامج الاعوام الستة لانتاج الحليب والالبان قبل الموعد، في ثلاثة اعوام.

منذ سنة، طرحت الكولخوزات والسوفخوزات الطليعية في الاتحاد السوفييتي مهمة دعمتها لجنة الحزب المركزية، وقوامها ادراك وتجاوز الولايات المتحدة الاميركية في السنوات القريبة القادمة من حيث انتاج اللحم والحليب والزبدة بكل نسمة من السكان. ونحن واثقون بان هذه المهمة ستنفذ بنجاح.

ما هذه، أقضايا عملية ام قضايا نظرية؟ نحن نعتبر ان هذه قضايا عملية قبل كل شيء. ولكن اذا كان الاقتصاد

الوطني في بلد اشتراكي ينهض، والثروة العامة تتكاثر سنة بعد سنة، والناس يتقاضون اجورا احسن فأحسن عن عملهم، ورفاهية الكادحين تتنامى، فان هذا يعني ان مواقع الاشتراكية تتوطد، وان مبادئ النظرية الماركسية-اللينينية تتحقق. ان هذه القضايا، كما ترون، قضايا نظرية كبرى.

منذ أمد قريب، وبمبادرة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، سنّ قانون باطراد تطوير النظام الكولخوزي واعادة تنظيم محطات الآلات والجرارات. والآن تباع الآلات مباشرة من الكولخوزات، واعيد تنظيم محطات الآلات والجرارات في محطات للتصليحات التكنيكية. وقد بينت اعمال الربيع في حقول الكولخوزات ان هذا التدبير يبرر نفسه كليا. فان الجرارات وسائر الآلات الزراعية تستغل في الكولخوزات لا اسوأ مما في محطات الآلات والجرارات، بل احسن. ما هذه القضية، أهي عملية فقط ام نظرية فقط؟ كلا، انها، في آن، قضية نظرية وتطبيق البناء الاشتراكي.

في ايار (مايو، ١٩٥٨. الناشر)، اقرت دورة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي برنامجا كبيرا لتطوير الصناعة الكيماوية في الاتحاد السوفييتي. ان تنفيذ هذا البرنامج سيؤمن التقدم التكنيكي المتصل في كثرة من فروع الاقتصاد الوطني في بلادنا ويتيح لنا ان نحل بمزيد من السرعة مهمة زيادة انتاج بضائع الاستهلاك الواسع.

جميع هذه القضايا عملية بحتة من النظرة الاولى ولكنها

في الوقت نفسه نظرية ايضا. هنا يبرز جانبا كل واحد: النظرية والتطبيق. فبنجاحاتنا في تطوير الصناعة والزراعة والثقافة نبين بوضوح مزايا فكرنا النظري وقوة وحيوية نظرية الماركسية-اللينينية التي يبنى على اساسها المجتمع الاشتراكي. ونحن اذ نطبق هذه النظرية في الواقع، ونطور الاقتصاد الاشتراكي ونشق طرقا جديدة الى المستقبل، انما نؤكد ونطور النظرية الثورية ونغنيها بتجربة الملايين.

ان كل قضية عملية من قضايا البناء الاشتراكي هي في الوقت نفسه قضية نظرية لها صلة مباشرة بتطوير الماركسية-اللينينية الخلاق. ولا يجوز فصل جانب عن آخر.

النظرية دون التطبيق انما هي زهرة عقيمة. تعرفون، يحدث ما يلي: يزهر البستان، فيفرح الانسان اذ ينظر الى الاشجار الزاهرة. وينتظر ان يعطي البستان في الخريف وفرة من الثمار، ويكافئه على العمل المبذول. ولكن اوان الزهر يمر، ويرى الانسان ان الزهر لم يعقد بعد تساقط اوراقه. وهذا يعني انه لن يكون ثمر. وهذا حزن كبير، فان الانسان يشعر بانه خدع في أطيب امانيه وآماله. عندما ازهر البستان وفاح الاريج، فرح وانتظر وفرة من الثمار. ولكن البستان لم يعد عليه بهذه الثمار. واذا العمل المبذول في هذا الصدد يتبدد هباء، والبستان الذي عني به الانسان لم يشكره على جهوده.

هكذا يصاب الناس بالخيبة القاسية في النظريين العقماء ايضا. فان الناس، اذ يستمعون الى بعض منمقي الجمل النظريين في خطاباتهم ومحاكماتهم الزاهرة، يستحوذ عليهم

العجب احيانا ويشرعون يؤمنون بجمل امثال هؤلاء الطنانة. ولكنهم يقتنعون بعد حين بانه لا ينجم في الواقع شيء عن الكلمات الجميلة. فالكلمات الجميلة تبقى وعودا فارغة لا صلة لها بالحياة. وعندما يقتنع الناس بان جمل امثال هؤلاء «النظريين» الفخمة زهور لم تعقد، وثرثرة، وبانها عقيمة، يديرون ظهورهم لامثال هؤلاء «النظريين» ول«نظرياتـ»هم.

اما النظرية الماركسية-اللينينية الثورية فانها تملك قوة كلية الجبروت لأنها، على وجه الضبط، على صلة وثيقة لا تنفصم بالحياة، بمجريات التطور الاجتماعي، وتثبت تاريخيا في هذه الحياة.

ان النشاط العملي الذي لا تنيره نظرية ثورية، طليعية، محكوم عليه بالتيهان في الظلمات. ان النظرية الماركسية-اللينينية تنير للطبقة العاملة والشغيلة الطرق الى حل المهام العملية المتعلقة ببناء الاشتراكية والشيوعية. ولكن النظرية وحدها دون التطبيق ميتة وعقيمة. وقد قال لينين ساخرا من المنفصلين عن الحياة والغارقين في محاكمات نظرية مجردة: «... اننا نتمسك بالرأي القائل ان نشاط الحركة العمالية **الجماهيرية** العملي ليس ابدا اقل اهمية من النظرية وان هذا النشاط العملي هو وحده القادر على **التثبت** جديا من مبادئنا. «النظرية رمادية يا صديقي ولكن الشجرة الابدية، شجرة الحياة، خضراء» » *.

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٢٠، ص ص ٤٩٥-٤٩٦.

لقد ظهرت في تاريخ المجتمع البشري غير مرة موضوعات نظرية بدت عصماء، ولكنها لم تكن تنبع من الحياة بالذات ولا يؤكدها النشاط العملي. وسرعان ما كانت هذه الموضوعات النظرية تموت، دون ان تجلب للبشرية اي فائدة.

ان حيوية النظرية الماركسية-اللينينية تتلخص في انها، وقد انبثقت في مجرى نضال الطبقة العاملة، تتطور على صلة وثيقة بالنشاط العملي، مقدمة للانسانية الاجوبة عن ألح القضايا. وان صحة الموضوعات النظرية الماركسية-اللينينية يؤكدها ويثبتها النضال العملي في سبيل بناء المجتمع الشيوعي. وتؤكدها التجربة الفائقة الغنى التي كدسها حزبنا وجميع الاحزاب الشقيقة في البلدان الاشتراكية. وتؤكدها تجربة الاحزاب الشيوعية في البلدان الرأسمالية، هذه الاحزاب التي تسترشد بالنظرية الثورية وتوجه نضال الطبقة العاملة وجميع الشغيلة في سبيل التحرر من العبودية الرأسمالية، في سبيل بناء المجتمع الاشتراكي.

ان الشيوعية ليست مفهوما فلسفيا مجردا، بل انها تنطوي على مضمون معين، هو ضرورة القضاء على الطبقات المستثمرة وعلى استثمار الانسان للانسان، واقامة نظام اجتماعي تكون فيه جميع القيم المادية والروحية المصنوعة ملكا عاما ويكون فيه الذين يصنعون هذه القيم هم الذين يتصرفون بها كما يرون، ويتمتعون بجميع خيرات عملهم، عاملين حسب كفاءاتهم وحاصلين حسب حاجاتهم.

ان الشيوعية انما هي المستقبل المشرق، واليها تسعى الانسانية.

(كلمة في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي البلغاري. ٣ حزيران (يونيو) ١٩٥٨.
مجموعة «نحو النصر في المباراة السلمية مع الراسمالية» ص ص ٣٣٧-٣٤١)

الافكار الماركسية ـ اللينينية وقوتها الجبارة

هناك جملة من الاسباب تجعل زحف الاشتراكية من المستحيل قهره. فقبل كل شيء، تستولي الماركسية ـ اللينينية اليوم على ادراك مئات الملايين من الناس حقا وفعلا، وتمثل بالتالي، حسب قول ماركس، قوة مادية جبارة. ثم ان الماركسية ـ اللينينية تبرز الآن امام الانسانية، لا بوصفها نظرية وحسب، بل ايضا بوصفها واقعا حيا. فان المجتمع الاشتراكي، الذي يبنى على ارحاب لامتناهية في اوروبا وآسيا، يجسد هذا المذهب في الوقت الحاضر. وليس الآن في العالم ولا يمكن ان تكون ثمة قوة في وسعها ان توقف ميل الجماهير الشعبية الغفيرة المتنامي ابدا ودائما الى ان ترى بام عيونها، و«تلمس»، كما يقال، بايديها كيف تظهر الاشتراكية، لا في الكتب والبيانات، بل في الحياة، في الواقع العملي. وليس في العالم الآن قوة في وسعها ان تقطع الطريق امام حركة الشعوب في بلدان جديدة وجديدة ابدا نحو الاشتراكية. وهناك اعتبار آخر يتسم باهمية من الدرجة الاولى. بالامس كان مئات الملايين

من الناس في آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية رازحين تحت نير «الممدنين» الاستعماريين، اما اليوم، فان اللوحة تتغير بشكل جذري. فان خروج شعوب جديدة وجديدة خروجا ثوريا الى مسرح التاريخ ينشئ شروطا ملائمة بنحو استثنائي لتوسيع منطقة نفوذ الافكار الماركسية-اللينينية توسيعا لا سابق له. وانه لم يبق بعيدا ذلك الزمن الذي تستولي فيه الماركسية-اللينينية على ادراك الاغلبية من سكان الكرة الارضية. وما يجري في العالم خلال ثلاث واربعين سنة بعد انتصار ثورة اكتوبر، يؤكد تأكيدا شاملا ما تتصف به النظرية اللينينية بصدد الثورة الاشتراكية العالمية من دقة علمية ومن حيوية.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ١٣)

ان الافكار تلهم الناس في النضال من اجل بلوغ الاهداف المرسومة. وفي هذا قوتها. ولكن حين تغدو افكار الماركسية-اللينينية، اذا جاز القول، افكار الدولة، وتكتسب اساسا ماديا، حينذاك تؤثر في حلقة اوسع من الناس. واستنادا الى دراسة الاحكام النظرية والتجربة العملية التي يعطيها الاتحاد السوفييتي وسائر البلدان الاشتراكية، يرى الجميع الآن الى اي اعمال كبرى تنهض بالشعوب افكار الماركسية-اللينينية، حين تستوعب الجماهير هذه الافكار، حين تأخذ الطبقة العاملة والشغيلة السلطة في ايديهم استنادا الى هذه

الافكار ويبنون دولتهم. ان هذه القوة قوة جبارة لا يستطيع شيء ان يصمد بوجهها. وليعرف السادة الاستعماريون والاحتكاريون وجميع المستعمرين – وهذه اسماء لمسمى واحد، – ليعرفوا ان صلواتهم ايا كانت، ورقياتهم ايا كانت، عاجزة عن اعادة عجلة التاريخ الى الوراء، لكي تسير القهقرى.

(خطاب في مؤتمر النقابات العالمي الخامس. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد ٢، ص ٣٢٣)

والآن يرتدي الصراع بين الايديولوجيتين طابعا يختلف تماما عما في فجر الماركسية. فان افكار الاشتراكية العلمية قد استولت على الجماهير وتحولت الى قوة مادية كبرى. وقد تجسدت في الحياة، وبعمل الشعوب تبنى القاعدة المادية والتكنيكية للمجتمع الجديد. ومن الميدان الفكري وحسب، امتد الصراع وشمل ميدان الانتاج المادي ايضا.

والآن، ليس القسم الاكثر تقدما في المجتمع وحسب، بل ايضا شعوب بلدنا وسائر البلدان الاشتراكية تخوض النضال بكليتها في سبيل تحقيق المثل العليا الكبرى للشيوعية. وان الاتحاد السوفييتي يقتحم الآن السماء حرفيا ومجازا، ويبرهن تفوق النظام الاشتراكي على الرأسمالية بتطبيق افكار الشيوعية في الحياة.

ان الاشتراكية لا تبرز اليوم بوصفها فكرة وحسب دعا الحزب الشغيلة الى النضال في سبيل تحقيقها. فقد اصبحت الاشتراكية واقعا. نحن نقول: انظروا الى الاتحاد

السوفييتي، الى البلدان الاشتراكية، تروا ما تستطيعه الطبقة العاملة، الشعب الشغيل، عندما يستلم مقاليد السلطة ويطبق افكار الشيوعية العلمية في الحياة. انظروا ما بلغه في اجل تاريخي قصير! ان نجاحاته ومثاله تؤثر تأثيرا هائلا في جماهير الشغيلة، في شعوب العالم كله.

ان الاشتراكية لن تقدم في المستقبل وحسب، بل انها تقدم الآن خيرات مادية وروحية كبيرة للشعوب التي سلكت طريق بناء الحياة الجديدة. ومثال بلدان الاشتراكية يصبح اكثر فاكثر جاذبية بالنسبة لشغيلة جميع البلدان. وافكار الشيوعية تنتشر باكثر فاكثر من السعة والعمق حافزة مئات الملايين من الناس الى الابداع التاريخي.

ان الحركة الجبارة، المتسارعة اكثر فاكثر، نحو الشيوعية ستكنس كل ما يشكل عقبة في الطريق الى الهدف المنشود، الى بناء اعدل مجتمع في الارض. وليس هذا بنضال بعض ضد بعض آخر بغية اضفاء صفة قانونية على السيادة على هذا البعض الآخر، انما هو نضال ضد الاضطهاد، ضد العبودية، ضد الاستثمار، نضال في سبيل سعادة الجميع. ونحن نؤمن ايمانا راسخا بأنه سيأتي زمن يعيش فيه في ظل الشيوعية ابناء واحفاد اولئك الذين لا يفهمون الآن الشيوعية ولا يقبلونها.

(الكلمة الختامية في المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الثاني، ص ٥٩٥)

كما تبدد اشعة الشمس ظلام الليل فيظهر كل شيء للعيان، كذلك تتسرب افكار الشيوعية اكثر فاكثر الى ضمير البشر وقلوبهم. وكما تشرق الشمس يوميا من الشرق، كذلك تنتشر الشيوعية في الارض بلا مرد. ان الاتحاد السوفييتي، بلد الاشتراكية الظافرة، والبلدان الاشتراكية الاخرى ترتفع في تطورها الى اعلى فأعلى.

ان الشمس، اذ ترتفع الى السمت، تتسرب باشعتها الى كل مكان. وهكذا الشيوعية التي بدأت تشرق في البلاد السوفييتية، ترتفع الآن الى السمت: ان الاتحاد السوفييتي وسائر البلدان الاشتراكية تسير بخطى واثقة في طريق بناء الاشتراكية والشيوعية.

ستتساقط الحجب، ويتفتح العميان، ويرون ما هو ابيض وما هو اسود. ان جميع الشعوب ستقتنع بان هناك سبيلا واحدا الى تقدم الانسانية قاطبة، الى حياة افضل، هو السبيل الى الشيوعية.

ان افكار الشيوعية تكتسب اكثر فاكثر عقول الناس في جميع بلدان الكرة الارضية. وبدأ الناس يفهمون اكثر فاكثر انه لا يجوز التخوف من الشيوعية، وليس هذا وحسب، بل يجب ايضا الترحيب بها لأن الشيوعية تجلب للشعب الشغيل الخيرات المادية والروحية، والحياة الحرة والسعيدة. ولهذا ترى الشعوب في الشيوعية قضيتها الخاصة الحميمة وتناضل بنشاط متعاظم ابدا في سبيلها. اما اولئك الذين يبنون سياستهم على تخويف الناس القليلي الاطلاع

بالشيوعية فسيصابون بخيبة مرة عندما يعرف هؤلاء الناس ان الشيوعية ليست فزاعة، بل تجلب السعادة للبشرية بأسرها. ان الشيوعية انما هي فجر مستقبل الشعوب كافة.

ونحن لعلى ثقة بان الغلبة ستكون لافكار الماركسية-اللينينية وان الشيوعية ستنتصر ايا كانت افتراءات الاعداء، ومهما صوروا مذهبنا بصورة مبتذلة!

(كلمة في المجلس العام التاسع لعمال عموم المانيا في لايبزيغ. ٧ آذار (مارس) ١٩٥٩. مجموعة «عالم بلا اسلحة، عالم بلا حروب»، المجلد الاول، ص ص ١٧٠-١٧١)

الشيوعيون يسعون الى انقاذ الانسانية من ويلات الحرب

لقد بيّن لينين ان قضية الحرب والسلام قد غدت، منذ الحرب العالمية الاولى، حجر الزاوية في كامل سياسة بلدان الكرة الارضية جميعها، وقضية حياة او موت لعشرات الملايين من البشر. وان هذه الاقوال اللينينية تدوي بمزيد من القوة في ايامنا، اذ يهدد استخدام الوسائل الجديدة للابادة الشاملة بتدميرات لا سابق لها وبهلاك مئات الملايين من الناس. وليس ثمة الآن مهمة ألح من مهمة درء كارثة كهذه.

لقد كشف الاجتماع ورسم الطرق الى المزيد من الفعالية في استغلال الامكانيات الجديدة لدرء الحرب

العالمية، هذه الامكانيات التي نشأت بالارتباط مع تشكيل المعسكر الاشتراكي ونمو جبروته، بالارتباط مع النسبة الجديدة بين القوى. ان الشعوب تؤمن بان الشيوعيين سيستغلون كل قوة النظام الاشتراكي والقوى المتنامية لدى الطبقة العاملة العالمية لأجل انقاذ الانسانية من ويلات الحرب.

لقد رأى ماركس وانجلس ولينين الرسالة التاريخية الملقاة على عاتق الطبقة العاملة وطليعتها الشيوعية لا في القضاء على الظلم والاستثمار والفقر والاستبداد وحسب، بل ايضا في انقاذ البشرية من الحروب الدامية.

لقد ربى لينين حزبنا بروح النضال بلا هوادة ضد الاستعمار، في سبيل السلام الوطيد والصداقة بين جميع الشعوب. وابدا ودائما شكلت هذه المبادئ ولا تزال تشكل جوهر سياستنا الخارجية. وحزبنا يذكر ما قاله لينين بان الرأسمالية، بسبيل الاحتضار والتعفن لا تزال قادرة على التسبب بمصائب كبرى للانسانية. ان حزبنا يحتفظ دائما باعظم اليقظة فيما يتعلق بالخطر الناجم عن الاستعمار، ويربي الشعب السوفييتي بهذه الروح ويفعل كل ما هو ضروري لكي لا يتمكن العدو يوما من اخذنا على حين غرة. اننا نحذر من خطر الحرب لكي نرفع يقظة الشعوب ونشاطها ونعبئها للنضال من اجل درء الحرب العالمية.

ان موقف الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي من قضية الحرب والسلم معروف من الجميع. وقد عرض غير مرة في قرارات مؤتمرات حزبنا وغيرها من وثائقه...

لقد اقتربت الانسانية لصقا من حد تاريخي تستطيع فيه ان تحل القضايا التي لم يكن في مستطاع الاجيال السابقة ان تحلها. وهذا ما يصح ايضا على ألح القضايا، اي على قضية درء الحرب العالمية.

ان الطبقة العاملة التي تقود اليوم قسما هائلا من العالم - وستأتي ساعة تقود العالم كله - لا يمكنها ان تسمح للقوى المحكوم عليها بالهلاك بان تجر وراءها الى القبر مئات الملايين من الناس. فالحرب العالمية في الظروف الراهنة ستكون حربا صاروخية نووية، اي أفتك حرب في التاريخ.

بين القنابل الهيدروجينية المجرّبة، قنابل تزيد قوة الواحدة منها عدة مرات على قوة جميع المتفجرات التي استعملت ابان الحرب العالمية الثانية وحتى منذ وجود البشرية. ويستفاد من حسابات العلماء ان تفجير قنبلة هيدروجينية واحدة في منطقة صناعية يمكنه ان يبيد على الفور حتى ١,٥ مليون نسمة ويهلك قرابة ٤٠٠ الف نسمة ايضا من الاشعاعات الناجمة عنه. بل ان قنبلة هيدروجينية متوسطة كافية لتمحو عن وجه الارض مدينة كبرى. وقد توصل العلماء البريطانيون الى استنتاج مفاده ان اربع قنابل قوة الواحدة منها ميغاطن (مليون طن) تلقى على لندن وبرمينغهام ولانكاشير ويوركشير، تبيد على الاقل ٢٠ مليون نسمة. ويستفاد من المعطيات التي قدمها الاختصاصيون الاميركيون لمجلس الشيوخ ان الخسائر التي يجب توقعها في الولايات المتحدة الاميركية بعد ٢٤

ساعة على بدء الحرب النووية تتراوح بين ٥٠ و٧٥ مليون نسمة. وقد صرح العالم الاميركي المعروف بولينغ قائلا: «في المناطق التي ستسدد اليها، اغلب الظن، الضربات النووية القوية، يعيش بالاجمال نحو مليار نسمة. وفي غضون ٦٠ يوما ابتداء من لحظة الضربة الذرية، قد يهلك ٥٠٠ ــ ٧٥٠ مليون نسمة». كذلك تجلب الحرب النووية مصائب لا تحصى لشعوب البلدان التي لا تتعرض مباشرة لقذف القنابل، اذ ان ملايين عديدة من البشر ستهلك، مثلا، بفعل عواقب الاشعاع الفتاكة.

ونحن نعرف ان الشعوب ستكنس الرأسمالية وتقضي عليها اذا ما شن المجانين الاستعماريون الحرب العالمية. ولكننا نقف بحزم ضد الحرب، لأننا، قبل كل شيء، نفكر بمصائر الانسانية، بحاضرها ومستقبلها. ونحن نعرف ان الشغيلة وطليعتهم الطبقة العاملة هم الذين سيعانون من الحرب قبل غيرهم اذا ما نشبت.

نحن نذكر كيف طرح لينين قضية مصير الطبقة العاملة. ففي السنوات الاولى التي عقبت الثورة، عندما كانت دولة العمال والفلاحين الاشتراكية الاولى في العالم ضمن طوق من النيران، علّم لينين اننا «اذا انقذنا الشغيل، اذا انقذنا القوة المنتجة الرئيسية للانسانية، العامل، استعدنا كل شيء، ولكننا سنهلك اذا لم نتمكن من انقاذه...» *.

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٢٩، ص ص ٣٣٤–٣٣٥.

والآن، ليس في العالم دولة واحدة للعمال والفلاحين، بل نظام كامل من الدول الاشتراكية. وواجبنا امام التاريخ ان نؤمن السلام والتطور السلمي لهذا الوليد العظيم الذي انجبته الطبقة العاملة العالمية، ونصون شعوب جميع البلدان من حرب مبيدة جديدة. ان انتصار الاشتراكية في العالم بأسره، المحتم بحكم قوانين التطور التاريخي، هو قريب الآن. ولا حاجة للحروب بين الدول لأجل هذا الانتصار.

ان حسبان العواقب المحتمة للحرب النووية الحساب الصارم شرط لا غنى عنه لانتهاج سياسة درء الحرب بالانسجام الواجب ولتعبئة الجماهير لحل هذه المهمة. ذلك ان مجرد فهم خطر الحرب المدمرة يقوي ارادة الجماهير في النضال ضد الحرب. ولهذا من الضروري تحذير الجماهير من العواقب الوخيمة التي تؤول اليها حرب عالمية جديدة وبالتالي استثارة غضب الشعوب المقدس على اولئك الذين يحضرون هذه الجريمة. ان امكانية درء الحرب ليست هبة من عل. ويستحيل توسل السلام والحصول عليه بالدعاء والاسترحام. فلا يمكن تأمين السلام الا بالنضال النشيط الساعي ابدا ودائما الى الهدف المنشود. ولهذا خضنا وسنخوض نضالا كهذا.

ان سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية ترمي بكليتها الى توطيد السلام. ولقد استخدمنا بأس دولتنا المتعاظم وسوف نستخدمه في المستقبل ايضا لا لتهديد احد، لا لتسعير المشاعر الحربية، بل لكي ننتهج بدأب وثبات

سياسة النضال ضد خطر الحرب، في سبيل درء الحرب العالمية.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٣١-٣٣، ٣٧-٣٩)

النضال في سبيل السلام ونزع السلاح مرافق للنضال في سبيل الشيوعية ومصدر لقوة الشيوعيين المعنوية

ان الحياة نفسها تؤكد صحة السياسة اللينينية التي تقول بالتعايش السلمي بين الدول على اختلاف انظمتها الاجتماعية والتي ينتهجها الاتحاد السوفييتي وسائر البلدان الاشتراكية بدأب وانسجام. ويعتبر حزبنا سياسة التعايش السلمي التي اوصانا بها لينين، الخط العام لسياسته الخارجية. ان التعايش السلمي هو الطريق الكبرى في العلاقات الدولية بين البلدان الاشتراكية والرأسمالية.

ان تطبيق سياسة التعايش السلمي بدأب وانسجام يعزز مواقع النظام الاشتراكي العالمي، ويسهم في انماء جبروته الاقتصادي وهيبته الدولية ونفوذه في الجماهير الشعبية، ويخلق له امكانيات ملائمة في مضمار السياسة الخارجية من اجل المباراة السلمية مع الرأسمالية.

ولأن بلدان المعسكر الاشتراكي تسلك سياسة صحيحة، هي سياسة النضال النشيط ضد مشعلي الحرب الاستعماريين، ارتفعت مكانة الاتحاد السوفييتي وجميع البلدان الاشتراكية الى علو لا سابق له. والواقع ان لبلدان

الاشتراكية الآن مواقع دولية حسنة جدا. كذلك تتنامى يوما بعد يوم هيبة الاحزاب الشقيقة التي تعمل في ظروف صعبة جدا في الدول الرأسمالية. والعالم كله يعترف في الوقت الحاضر ان السياسة الخارجية النافذة، الفعالة، النشيطة التي يتبعها الاتحاد السوفييتي وجميع البلدان الاشتراكية، تجتذب الى جانب السلام والاشتراكية الملايين من الناس اثر الملايين.

ان سياسة النضال النشيط من اجل السلام قد نفحت اعمال البلدان الاشتراكية في حقل السياسة الخارجية بقوة زاخمة. وفي السنوات الاخيرة، تعود المبادرة في المسرح العالمي الى الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية، بينا الدول الاستعمارية وحكوماتها تجد نفسها في موقف دفاعي بحت. وقد هبطت مكانتها واسهمها في حقل السياسة الخارجية كما لم تهبط يوما.

ان الاتجاه الى التعايش السلمي ييسر تطور قوى التقدم والقوى المناضلة من اجل الاشتراكية، ويسهل في البلدان الرأسمالية نشاط الاحزاب الشيوعية وغيرها من المنظمات التقدمية للطبقة العاملة، ويسهل على الشعوب النضال ضد الكتل الحربية العدوانية، ضد القواعد الحربية الاجنبية، ويسهم في نجاح حركة التحرر الوطني.

وعليه، تكون سياسة التعايش السلمي، من حيث مضمونها الاجتماعي، شكلا من اشكال النضال الاقتصادي والسياسي والايديولوجي المتوتر الذي تخوضه البروليتاريا ضد قوى الاستعمار العدوانية في المسرح العالمي.

ولا يمكن ان يتكلل النضال ضد الاستعمار بالنجاح

الا شرط الرد ردا حاسما على تصرفاته العدوانية. وانك لن توقف المغامرين الاستعماريين بالتعاويذ الكلامية. فليس ثمة للجم الاستعمار غير سبيل واحد، هو تعزيز بأس الدول الاشتراكية بلا كلل في المجال الاقتصادي والسياسي والعسكري، ورص وتوطيد الحركة الثورية العالمية بجميع الوسائل، وتعبئة الجماهير الشعبية الغفيرة للنضال من اجل درء خطر الحرب.

وان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي والحكومة السوفييتية سوف تعملان كل شيء في المستقبل ايضا وبالحاح، من اجل زيادة بأس بلادنا القتالي، ما دام الأستعماريون يواصلون الركض وراء التسلح.

ان حزبنا وحكومتنا، اذ يردان على تصرفات الاستعمار العدوانية، يبديان على الدوام الصلابة ورباطة الجأش. ونحن نسعى ابدا ودائما الى توجيه تطور الاحداث بحيث نذود عن مصالح المعسكر الاشتراكي ولا نتيح للاستفزازيين الاستعماريين شن حرب عالمية جديدة.

ولقد اخذنا على عاتقنا ان نفضح الجوهر العدواني لجميع تكتلات الاستعماريين السياسية الحربية كالناتو (حلف الاطلسي الشمالي) والسياتو (حلف جنوب شرق آسيا) والسنتو (حلف المعاهدة المركزية) مثلا، ساعين الى عزلها والى تصفيتها في آخر المطاف. ولقد صرحنا غير مرة اننا بهذا الشرط مستعدون للاقدام على الغاء منظمة معاهدة فرصوفيا. ومن تصفية التكتلات العسكرية، تكسب جميع شعوب العالم.

وسيكون هذا قسطا فعليا كبيرا جدا في قضية توطيد السلام وتنقية الوضع الدولي، ونجاحا كبيرا لسياسة التعايش السلمي. ان الاستعماريين، رغم جميع مساعيهم، لم يفلحوا في الآونة الاخيرة في جر اي دولة جديدة الى كتلهم الحربية. ومما له دلالته ان جميع الدول المستقلة الجديدة اعلنت عن عزمها على انتهاج سياسة عدم الاشتراك في الكتل الحربية.

وباهمية خاصة من حيث تعزيز السلام في اوروبا، وليس في اوروبا وحسب، يتسم النضال ضد العسكرية الالمانية الغربية المنبعثة. وهذا النضال يخوضه الاتحاد السوفييتي مع الجمهورية الالمانية الديموقراطية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وسائر البلدان الاشتراكية بمختلف الاتجاهات، واهمها النضال من اجل معاهدة الصلح. ان عرض الدول الاشتراكية برنامجا لتسوية القضية الالمانية تسوية سلمية ولحل قضية برلين الغربية على هذا الاساس قد اسهم الى حد كبير في فضح الاوساط العدوانية في الولايات المتحدة والجمهورية الالمانية الاتحادية وسائر الدول المشتركة في حلف الاطلسي الشمالي، بوصفها خصما للانفراج. وقد توطدت المواقع الدولية للجمهورية الالمانية الديموقراطية، المركز الامامي للاشتراكية في اوروبا الغربية.

وظهرت مواقع الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وفرنسا في برلين الغربية ضعيفة بوجه خاص. ولا تزال هذه الدول تحاول التمسك بالمواقع القديمة، ولكنه لا بد

لها ان تفهم ان نظام الاحتلال في هذه المدينة سينتهي عاجلا ام آجلا.

ومن الضروري، في المستقبل ايضا اعادة الاوساط الاستعمارية العدوانية الى الصواب خطوة فخطوة، واجبارها على اخذ الوضع الفعلي بالحسبان. واذا عاندت، اقدمنا على اتخاذ تدابير حاسمة وعقدنا معاهدة الصلح مع الجمهورية الالمانية الديموقراطية لأننا ممتلئون عزما على ان نؤمن، اخيرا، عقد معاهدة الصلح مع المانيا ونصفي نظام الاحتلال في برلين الغربية وننتزع بالتالي الشظية من قلب اوروبا.

ايها الرفاق! اذا كان درء الحرب الجديدة قضية جميع القضايا في زمننا، فان الطريق الجذري ولا اكثر الى هذا، انما هو نزع السلاح. ولقد اعلن اجتماع ممثلي الاحزاب الماركسية-اللينينية ان تحقيق البرنامج الذي تقدم به الاتحاد السوفييتي لنزع السلاح العام والكامل يتسم باهمية تاريخية بالنسبة لمصائر الانسانية.

ان نضالنا من اجل نزع السلاح ليس باسلوب تاكتيكي. فنحن نريد مخلصين نزع السلاح. وهنا نقف كليا على صعيد الماركسية-اللينينية. ففي اواخر القرن الماضي، اشار انجلس الى ان نزع السلاح امر ممكن ووصفه بانه «ضمانة السلام». وفي زمننا، كان لينين اول من رفع شعار نزع السلاح بوصفه مهمة عملية، واولى الاقتراحات السوفييتية بصدد نزع السلاح الكامل او الجزئي، اذا لم يقدم الرأسماليون على نزع السلاح الكامل، انما قدمت في مؤتمر جنوه.

ان النضال في سبيل نزع السلاح هو أهم عامل لدرء

الحرب، وهو نضال فعال ضد الاستعمار. وفي هذا النضال يجد المعسكر الاشتراكي اغلبية البشرية الى جانبه.

ان مثل السلام والتقدم هي مثلنا العليا الحميمة. ففي بيان الاممية الاولى التأسيسي الذي كتبه ماركس، ورد نداء «الى السعي لكي تصبح القوانين البسيطة للاخلاق والعدالة، التي يجب ان يسترشد بها الافراد في العلاقات فيما بينهم، القوانين العليا في العلاقات بين الشعوب ايضا» *.

ونحن عندما نرفع شعار النضال من اجل عالم بلا اسلحة وبلا حروب، نأخذ، طبعا، بالحسبان انه ما زالت توجد في المعسكر الاستعماري في الظروف الراهنة، ومع وجود نظامين اجتماعيين عالميين مختلفين، قوى كبيرة نسبيا، لا تؤيد هذا الشعار، وليس هذا وحسب، بل تخوض النضال ضده ايضا.

ان قضية النضال في سبيل الشيوعية هي قضية طبقية. اما قضية النضال من اجل السلام فهي قضية يمكن ان تتحد من اجل حلها، لا قوى الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة وحسب، بل كذلك قوى القسم من البرجوازية الذي يرى خطر الحرب الحرارية النووية الفعلي.

وعليه، لا يتناقض شعار النضال من اجل السلام مع شعار النضال في سبيل الشيوعية. فان هذين الشعارين يندمجان لأن الشيوعية تبرز في عيون اوسع الجماهير

---

* كارل ماركس وفريدريك انجلس. المؤلفات، المجلد ١٦، ص ١١.

الشعبية كقوة في مقدورها ان تنقذ الانسانية من ويلات الحرب الصاروخية النووية الماحقة العصرية؛ بينا الاستعمار في ادراك الجماهير يندمج اكثر فاكثر مع الحرب، بوصفه نظاما يولّد الحرب. ولهذا يظهر شعار النضال من اجل السلام اشبه بمرافق لشعار النضال في سبيل الشيوعية.

لقد قال التصريح بحق «ان حركة انصار السلام هي اوسع حركة في العهد الراهن وهي تشمل اناسا من مختلف العقائد السياسية والدينية ومن مختلف طبقات المجتمع، ولكنهم متحدون في سعيهم النبيل الى الحيلولة دون الحروب الجديدة، الى تأمين السلام الوطيد». وفي عداد الذين يناضلون من اجل السلام، ممثلو مختلف الفئات الاجتماعية، ومختلف العقائد السياسية والمذاهب الدينية.

ان النضال في سبيل نزع السلاح هو نضال نشيط ضد الاستعمار، من اجل تقليص امكانياته الحربية. وعلى الشعوب ان تفعل كل شيء بغية التوصل الى تحريم وابادة السلاح الذري وجميع الانواع الاخرى من اسلحة الابادة بالجملة. وآنذاك سيكون السلام مضمونا وامام الشعوب تنفتح أطيب الآفاق لبناء حياتها وفقا لامانيها ومصالحها.

والشرط الاولي للتقدم في قضية نزع السلاح، هو تعبئة اوسع الجماهير الشعبية، وتنامي ضغطها على الحكومات الاستعمارية.

في سياسة المعسكر الرأسمالي تجاه البلدان الاشتراكية، يتجلى ميلان: الميل العدواني الساعي الى شن الحرب، والميل المعتدل الحصيف. ولقد اشار لينين الى ضرورة اقامة الاتصالات مع تلك الاوساط البرجوازية التي تميل الى

المسالمة، «وان كانت باحقر اشكالها» *. وقال انه يجب علينا ان نستغل كذلك ممثلي البرجوازية الحكماء في النضال من اجل صيانة السلام.

ان صحة هذه الاقوال تؤكدها احداث ايامنا ايضا. فبين الطبقات الحاكمة في المعسكر الاستعماري، يسود الخوف على مستقبل الرأسمالية. واشد الاوساط اغراقا في الرجعية تبدي توترا عصبيا متفاقما وسعيا الى المغامرة والعدوان، آملة ان تصلح بهما امورها المتدهورة. وفي الوقت نفسه، توجد ايضا بين الاوساط الحاكمة في هذه البلدان قوى تدرك خطر الحرب الجديدة على الرأسمالية ذاتها. ومن هنا تياران: تيار يميل نحو الحرب، وآخر نحو القبول، في شكل ما، بفكرة التعايش السلمي.

وهذان التياران تأخذهما الدول الاشتراكية بالحسبان في سياستها، وهي تسعى الى اجراء المفاوضات وعقد الاتفاقات مع البلدان الرأسمالية على اساس مقترحات بناءة، وتسعى الى تطوير الاتصالات الشخصية بين رجالات الدولة في الدول الاشتراكية والرأسمالية. وينبغي ان نستغل في المستقبل ايضا كل فرصة لفضح انصار «الحرب الباردة» وانصار الركض وراء التسلح، ونبين للجماهير الشعبية ان بلدان الاشتراكية تناضل حقا وفعلا باخلاص من اجل تأمين السلام في العالم اجمع.

وفي وعي الشعوب كافة، يرسخ المفهوم القائل ان الشيوعيين هم الذين يعملون لكي تبنى العلاقات بين الدول

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٣٣، ص ٢٣٦.

على اساس مبادىء التعايش السلمي، وانهم هم اشد المناضلين من اجل السلام حماسة وانسجاما. وفي وسعنا ان نعتز لكون السلام والشيوعية يندمجان اكثر فاكثر في كل واحد في خيال الشعوب.

ان الشيوعيين يعتبرون انه اذا ما ناضلت جميع القوى التقدمية والمحبة للسلام في الظرف الراهن – اي بلدان النظام الاشتراكي، والطبقة العاملة العالمية، وحركة التحرر الوطني، والدول الوطنية الفتية، وجميع البلدان العاملة ضد الحرب، وجميع انصار السلام، – اذا ناضلت جميع هذه القوى بحزم ضد خطر الحرب، امكنها ان تكبل ايدي مشعلي نيران الحرب ودرء الكارثة الحربية العالمية الجديدة. ومن الضروري اجتذاب فئات جديدة من السكان يوما بعد يوم الى النضال من اجل السلام والتغلب على السلبية القائمة، مع الاسف، بين بعض الفئات الاجتماعية في الدول البرجوازية. ولقد اشير في التصريح الى «**انه يجب خوض النضال ضد خطر حرب عالمية جديدة دون انتظار لبدء تساقط القنابل الذرية والهيدروجينية**».

من أهم ينابيع القوة المعنوية التي تتحلى بها الشيوعية، والنفوذ الهائل الذي تتمتع به بين الجماهير، ان الشيوعية تبرز حاملة راية النضال في سبيل السلام. فان راية السلام هي التي تتيح لنا ان نلف حولنا اوسع الجماهير الشعبية. واذا ما رفعنا عاليا راية السلام، احرزنا المزيد من النجاحات.

ان الشيوعيين يعتبرون من واجبهم المقدس ان يستغلوا تماما جميع الفرص التي يكشفها العهد الراهن امام الشعوب،

من اجل لجم قوى الاستعمار المحبة للحرب، من اجل درء حرب جديدة.

ان الحركة الشيوعية والعمالية العالمية المعاصرة قد بلغت درجة من القوة والتنظيم بحيث تطرح كمهمة عملية امر انقاذ الانسانية من مصائب حرب جديدة. وقد جاء في تصريح الاجتماع قوله:

«ان الشيوعيين يرون رسالتهم التاريخية لا في القضاء على الاستثمار والفقر على النطاق العالمي ونفي امكانية نشوب اي حرب من حياة المجتمع البشري الى الابد وحسب، بل ايضا انقاذ الانسانية في العهد الراهن من كابوس حرب عالمية جديدة. ان الاحزاب الشيوعية في جميع البلدان ستكرس كل قواها وعزيمتها من اجل اداء هذه الرسالة التاريخية العظيمة».

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٣٩-٤٥)

الشيوعيون مناضلون طليعيون في سبيل الحرية الوطنية

لقد رحبنا بفرح في موسكو بالمشتركين في الاجتماع من الاحزاب الشيوعية الشقيقة في بلدان آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية، المناضلين الصلبين من اجل استقلال الشعوب وحرية تطورها. ففي نحو ٥٠ بلدا من هذه القارات

تعمل الآن احزاب شيوعية. وهذا ما وسع دائرة نفوذ الحركة الشيوعية واضفى عليها طابعاً عالميا حقا.

في عام ١٩١٩، تكلم لينين في المؤتمر الثاني للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق في عامة روسيا فقال: «... اذا تيسر للبلاشفة الروس احداث صدع في الاستعمار القديم، اذا تيسر لهم القيام بمهمة في منتهى العسر ولكنها في منتهى النبل ايضا، هي مهمة احداث طرق جديدة للثورة، ففي انتظاركم انتم ممثلي جماهير الكادحين في الشرق مهمة اعظم واكثر جدة» *. وقد رأى لينين هذه المهمة في ان نوقظ في جماهير الكادحين النشاط الثوري الذي يحفزها الى المبادرة والتنظيم بصرف النظر عن مستوى هذه الجماهير، وان نطبق المذهب الشيوعي في الظروف الاصيلة في البلدان المعنية وان نندمج مع بروليتاريي البلدان الاخرى في النضال المشترك **.

عندما طرح لينين هذه المهمة، لم تكن بعد قد تحققت عمليا في اي مكان، وكان من المستحيل ان يقرأ المرء في اي كتاب كان كيف ينبغي تحقيقها بصورة ملموسة. اما الآن، فان الاحزاب الشيوعية في البلدان المناضلة في سبيل الاستقلال الوطني او التي نالته، تجد نفسها في ظروف اوفر ملاءمة الى ما لا قياس له لأنه تتوافر تجربة هائلة هي تجربة تطبيق نظرية الماركسية-اللينينية في احوال بلدان ومناطق كانت الرأسمالية حكمت عليها بالتأخر الابدي.

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٣٠، ص ص ١٣٧–١٣٨.

** لينين. المؤلفات، المجلد ٣٠، ص ١٤١.

وهذه التجربة التي كدستها الحركة الشيوعية العالمية هي كنز غني لجميع الشيوعيين. وبديهي انه لا يمكن ان يستخدم هذه التجربة على نحو صحيح، ويعين على نحو صحيح اي سياسة يجب اتباعها، الا نفس الحزب الذي يعمل في البلد المعني.

ان هذه الاحزاب تركز انتباهها على الرئيسي: كيف تقف مواقف صحيحة من شعوبها، وتقنع اوسع الجماهير بان مستقبلها الافضل وثيق الارتباط بالنضال ضد الاستعمار والقوى الرجعية الداخلية، وكذلك كيف تقوي التضامن الاممي مع الدول الاشتراكية، مع الطليعة الشيوعية لشغيلة العالم بأسره.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٤٧-٤٨)

وبعد طرد المستعمرين، حين تكون المهمات الوطنية العامة قد حلّت في الاساس، تسعى الشعوب الى حل القضايا الاجتماعية التي تضعها الحياة. وهذه القضايا هي، قبل كل شيء، حل القضية الفلاحية الزراعية وقضايا نضال العمل ضد الرأسمال. فتبرز في صفوف حركة التحرر الوطني تفاعلات اجتماعية تولد حتما وجهات نظر متباينة حول سبل تطور هذه الدول في المستقبل.

ان بلادنا، شأنها شأن سائر البلدان الاشتراكية، قد أيّدت وستؤيد حركة التحرر الوطني. والاتحاد السوفييتي

لم يتدخل قط في الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى وليس في نيته ان يتدخل، ولكنه لا يسعنا إلا ان نعرب عن موقفنا من الحملة التي تقوم ضد القوى التقدمية في بعض البلدان تحت هذا الشعار المزيّف، شعار مكافحة الشيوعية. فبما انه قامت منذ وقت غير بعيد في الجمهورية العربية المتحدة حملات ضد الافكار الشيوعية، ووجهت فيها اتهامات ضد الشيوعيين، اعتبر من واجبي كشيوعي ان اعلن في مؤتمر حزبنا الشيوعي انه ليس من الصواب اتهام الشيوعيين بانهم يعملون على اضعاف او على تفرقة الجهود الوطنية في النضال ضد الاستعمار. بل على العكس، فليس هناك من هم اشد صلابة من الشيوعيين في النضال ضد المستعمرين ولا اشد اخلاصا لقضية هذا النضال. وليس هناك قوى اكثر صلابة وجلدا من قوى الشيوعية في النضال ضد الاستعمار. وليس من قبيل الصدفة ان الاستعماريين يسددون رأس حربة كفاحهم ضد الحركة الشيوعية.

ان مكافحة الاحزاب الشيوعية وسائر الاحزاب التقدمية عمل رجعي. وسياسة مكافحة الشيوعية لا توحّد القوى الوطنية بل تفرقها وهي بالتالي تضعف جهود الامة بأسرها في سبيل حماية مصالحها ضد الاستعمار. ومن غير الصحيح اتهام الشيوعيين بانهم يعملون ضد مصالح الشعوب العربية الوطنية. ومن السذاجة ايضا وضع الشيوعية والصهيونية على صعيد واحد. فمعلوم للجميع ان الشيوعيين ومنهم شيوعيو اسرائيل، يناضلون ضد الصهيونية.

ومن غير المعقول ان يستشف المرء في كل شيء «دسائس الشيوعيين». انما ينبغي النظر الى قضايا تطور

المجتمع بمزيد من العمق. فهناك قوانين موضوعية للتطور الاجتماعي. والواقع ان هذه القوانين تدل على انه توجد في داخل كل امة طبقات مصالحها متباينة. فبعد القضاء على الاضطهاد الاستعماري في البلدان المستعمرة، يرغب العمال في التوصل الى انقاص يوم العمل وزيادة الاجور، ويريد الفلاحون الحصول على مزيد من الارض وامكانية التمتع بثمار عملهم. والعمال والفلاحون على السواء يريدون نوال الحقوق السياسية. والحال، ان الرأسماليين يريدون ان يبتزوا الحد الاقصى من الارباح بينا الملاكون العقاريون يريدون الاحتفاظ بالاراضي الموجودة في ايديهم. والقوى التقدمية تطمح الى تطوير البلاد في طريق التقدم الاجتماعي، وتسعى الى تعزيز الاستقلال الوطني وحمايته من دسائس الاستعماريين. ولكن ضد هذا تناضل القوى الرجعية الداخلية .التي غالبا ما يشجعها الاستعماريون من الخارج.

ان هذه التطورات التي تجري في البلدان التي خلعت نير الاستعمار لا تنبثق لارادة او لرغبة هذا الحزب او ذاك، انما تنبثق لانه توجد طبقات، ولان مصالح هذه الطبقات متباينة. ونحن، الشيوعيين، شأننا شأن جميع التقدميين، نعطف بالطبع على الذين يناضلون في سبيل العدالة الاجتماعية.

نحن لا نخفي انه توجد بيننا وبين بعض رجالات الجمهورية العربية المتحدة آراء مختلفة في الميدان الايديولوجي. ولكن مواقفنا تتفق ومواقفهم في قضايا النضال ضد الاستعمار وفي قضية تعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلدان التي تحررت من نير الاستعمار، وفي

النضال ضد خطر الحرب. بيد ان الخلافات في الاراء الايديولوجية انما ينبغي لها الا تحول دون تطور علاقات الصداقة بين بلدينا والا تعرقل قضية النضال المشترك ضد الاستعمار.

ان عملاء الدول الاستعمارية الذين يتجولون في بلدان الشرقين الادنى والاوسط يرغبون في تخويف البعض من الشيوعية آملين ان يؤمنوا على هذا النحو نفوذ الاستعماريين ويدعموا القوى الرجعية. ولهذا ينبغي على شعوب هذه البلدان ان تتسلح باليقظة حيال الدسائس الاستعمارية.

(في الارقام التوجيهية لتطوير الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي لاعوام ١٩٥٩ - ١٩٦٥. المؤتمر الحادي والعشرون الاستثنائي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ص ٧٨-٨٠)

في سبيل وحدة الطبقة العاملة

ان الاحزاب الشيوعية التي كانت، هذه السنوات كلها، كما في السابق، في قلب النضال من اجل صيانة السلام، من اجل مصالح الكادحين الحيوية ومن اجل استقلال بلدانها الوطني، قد أثبتت انها اوفر المناضلين ضد خطر الحرب وضد الرجعية نشاطا وانسجاما. وفي السنوات الاخيرة، كان من نصيب الشيوعيين في البلدان الرأسمالية كثرة من المصاعب والمصائب. ولكن الاحزاب الشيوعية استطاعت ان تخرج من هذه المحن بشرف.

وفي الوقت نفسه، تعمل ايضا لوساط اجتماعية اخرى كثيرة من مواقع مناهضة للحرب. ولو ان مختلف القوى التي تذود عن قضية السلام تغلبت على بعض التفرق، لكانت طبعا فعالية هذه الاعمال اكبر. وانها لتكتسب اهمية خارقة قضية وحدة الطبقة العاملة ونقاباتها، وحدة اعمال احزابها السياسية، من شيوعيين واشتراكيين، وغيرها من الاحزاب العمالية.

ان كثرة من مصائب العالم المعاصر تنبع من كون الطبقة العاملة في كثرة من البلدان لا تزال منشقة على نفسها منذ سنوات طويلة ومن كون مختلف فصائلها لا تعمل جبهة واحدة، الامر الذي لا يفيد الا قوى الرجعية. في حين، ان الافق، حسب رأينا، ينكشف الآن لتغيير هذا الوضع. فلقد طرحت الحياة في جدول الاعمال كثرة من القضايا التي لا تتطلب التقارب والتعاون بين جميع الاحزاب العمالية وحسب، بل تخلق كذلك امكانيات فعلية من اجل هذا التعاون. وأهم هذه القضايا، قضية درء نشوب حرب جديدة. فاذا عملت الطبقة العاملة كقوة منظمة موحدة وابدت ارادة راسخة، فلن تكون الحرب.

كل هذا يلقي على جميع مناضلي الحركة العمالية مسؤولية تاريخية. فان مصالح النضال من اجل السلام تتطلب نبذ الاتهامات المتبادلة جانبا، وايجاد نقاط للالتقاء، ووضع اسس على هذا الصعيد من اجل التعاون. ومن الممكن والضروري في هذه الحال التعاون كذلك مع تلك الاوساط من الحركة الاشتراكية، التي تتمسك بنظرات غير نظراتنا في قضية اشكال الانتقال الى الاشتراكية. وبينها

ليسوا قلة اولئك الذين يضلون عن حسن نية في هذه القضية، ولكن هذه ليست عقبة امام التعاون. فالآن ينادي كثيرون من الاشتراكيين-الديموقراطيين بالنضال النشيط ضد خطر الحرب وضد العسكرية، ومن اجل التقارب مع البلدان الاشتراكية، من اجل وحدة الحركة العمالية. ونحن نحيي باخلاص هؤلاء الاشتراكيين-الديموقراطيين، ونحن مستعدون لفعل كل ما هو ضروري لتوحيد جهودنا في النضال من اجل هذه القضية النبيلة التي هي قضية الدفاع عن السلام وعن مصالح الشغيلة.

(تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي امام مؤتمر الحزب العشرين. المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ص ٢٢-٢٣)

اذا تناول الكلام دور الاحزاب غير الشيوعية ومكانها، تنبغي الاشارة قبل كل شيء الى ان تعاون الحزب الشيوعي مع الاحزاب الاخرى ليس ممكنا وحسب، بل ضروري ايضا في الوضع الراهن من اجل تحويل المجتمع تحويلا اشتراكيا. فان الاشتراكية قد تحولت الآن الى نظام عالمي. وهي، في جميع البلدان، تكتسب عددا متزايدا ابدا من الانصار، وليس في صفوف الطبقة العاملة وحسب. ومن هنا ينبثق احتمال واقعي لتشكيل تحالفات واسعة بين الطبقة العاملة وطليعتها الحزب الشيوعي وبين الفئات الاجتماعية الاخرى وبالتالي بين الاحزاب الاخرى، في النضال من اجل الاشتراكية.

وبديهي ان الحديث لا يمكن ان يتناول غير التحالف مع احزاب تأخذ على عاتقها، لا قولا، بل فعلا، مهمة بناء المجتمع الاشتراكي او تكون، حسب تعبيركم، مخلصة لمثال الاشتراكية الاعلى. ماذا يعني الاخلاص لمثال الاشتراكية الاعلى؟ انه يعني ابتغاء مهمة بناء المجتمع الاشتراكي، اي نقل ادوات ووسائل الانتاج الى ايدي الشغيلة، اما بمصادرتها واما، في بعض الحالات، بشرائها من الرأسماليين، وتصفية استثمار الانسان للانسان. وان الحزب الذي يضع فعلا نصب عينيه هذه المثل العليا، والمستعد للنضال في سبيلها، يستطيع ويجب عليه، بالطبع، ان يكون حليف الحزب الشيوعي في تحويل المجتمع تحويلا اشتراكيا. وفي التحالف مع احزاب كهذه ستستطيع الاحزاب الشيوعية ان توحد قوى الطبقة العاملة وان تتوصل من ثم، بتضافر الجهود، الى توحيد حلفاء الطبقة العاملة، اي الفلاحين الشغيلة والحرفيين والمثقفين، حول الطبقة العاملة. ان اتحادا كهذا هو شرط ضروري لظفر الطبقة العاملة بالسلطة ولاقامة النظام الاشتراكي، بما في ذلك بالطريق البرلماني السلمي.

في الوقت الحاضر، تسمع اقوال في الغرب تزعم ان تعاون الشيوعيين مع الاحزاب الاخرى وبالدرجة الاولى مع الاشتراكيين لن يحمل الا طابعا موقتا وان «الشيوعيين سيبلعون الاشتراكيين» بعد الظفر بالسلطة. هذا التلفيق انما يحتاجه زعماء الاحزاب الاشتراكية اليمينيون في بعض البلدان الغربية لكي يخيفوا اعضاء احزابهم العاديين ويصرفوهم عن فكرة وحدة الاعمال مع الشيوعيين. اما في

الواقع، فان الشيوعيين، بعد الظفر بالسلطة ايضا، يعتبرون التعاون مع الاحزاب غير الشيوعية لا امرا ممكنا وحسب، بل مرغوبا فيه كذلك، اذا اثبتت هذه الاحزاب فعلا سعيها الى بناء الاشتراكية.

اما ان الامر يتقوم على هذا النحو بالضبط، فهذا ما تدل عليه كثرة من الامثلة. فان تجربة الكثير من بلدان الغرب والشرق، ومنهــا تجربة الجمهورية الالمانية الديموقراطية وتشيكوسلوفاكيا وجمهورية الصين الشعبية، تبين ان القيادة السياسية من جانب الطبقة العاملة والحزب الشيوعي تتحقق في هذه البلدان مع بقاء الاحزاب التي تعبر عن مصالح الفئات الوسطى في المدينة والقرية، ناهيك بان التعاون مع هذه الاحزاب عندما تعطف على المثل العليا للاشتراكية عن اخلاص، سيكون عونا هاما قادرا على تعجيل التقدم في الطريق الى الاشتراكية.

(اجوبة عن اسئلة محرر الجريدة الاوسترالية «هيرالد» جون ووترس. ١١ حزيران (يونيو) ١٩٥٨. مجموعة «نحو النصر في المباراة السلمية مع الراسمالية»، ص ص ٣٧٥-٣٧٦)

في النضال من اجل السلام، ضد الحرب، تتسم باهمية خاصة صيانة وتوطيد وحدة ولحمة الطبقة العاملة في العالم كله، بما فيه المانيا الغربية. لقد عانت الطبقة العاملة الالمانية الكثير بسبب تفرقها. وكانت تلك مصيبتها الحقيقية. ولقد كان دائما عدد التيارات والتلاوين في صفوف

الحركة العمالية في المانيا كبيرا بحيث ان الشيطان نفسه، كما يقول الروس، يحطم قدميه قبل ان يتفهم شيئا من هذا. ان البرجوازية الالمانية قد استغلت لاغراضها، بحذق نسبي، انعدام الوحدة في صفوف الطبقة العاملة. ان تفرق الطبقة العاملة يساعد الاستعماريين على المناورة بغية الحفاظ على سيطرتهم. وانا اعتقد اننا جميعنا لا نريد ان نساعد الرأسماليين ولهذا ينبغي لنا ان نفكر جديا بتوحيد جهود الطبقة العاملة وشغيلة البلدان كافة لما فيه تعزيز قضية السلام والاشتراكية باستمرار...

نحن العمال، الشعب الكادح، يجب علينا ان ندرك جيدا المصالح الطبقية ونرص صفوفنا بمزيد من الوثوق. يجب علينا ان نعرف كيف نتفاهم مع اخوتنا في الطبقة، يجب علينا ان نتحلى بالحد الاقصى من الارادة والصبر، وان نستخدم جميع الوسائل لكي نقنع اولئك الذين لا يفهموننا اليوم بعد. وهنا يجب ابداء الارادة والمهارة والحكمة.

ولكن الحكاية اخرى مع عالم الرأسمالية. هنا يجب الحذر واليقظة، وعدم الانزلاق عن المواقع الطبقية.

(كلمة في المجلس العام التاسع لعمال عموم المانيا في لايبزيغ. مجموعة «عالم بلا اسلحة، عالم بلا حروب»، المجلد الاول، ص ص ١٨٦-١٨٨)

والآن تتوافر للشعوب امكانيات اكبر مما مضى لسد الطريق امام الفاشستية، وذلك نظرا لوجود معسكر

الاشتراكية الجبار، نظرا لأن الحركة العمالية قد كدست تجربة غنية في النضال ضد الرجعية، ونظرا لارتفاع تنظيم الطبقة العاملة. ويمكن ويجب حشد اوسع فئات الشعب، وجميع القوى الديموقراطية، الوطنية حقا وصدقا، في النضال ضد الفاشستية. ومن المهم بالتالي التغلب الى النهاية على الضيق الانعزالي الذي قد يحول دون تعبئة الجماهير للنضال ضد الرجعية والفاشستية. ان وحدة القوى الديموقراطية، وبالدرجة الاولى، وحدة الطبقة العاملة، هي اضمن عقبة في طريق الخطر الفاشستي.

لكن من ذا الذي يعيق قضية وحدة الطبقة العاملة؟ انها الرجعية الاستعمارية واذنابها في قلب الحركة العمالية، اضراب الزعماء الاشتراكيين-الديموقراطيين المعادين للشيوعية، كغي موله وسباك مثلا. نحن نعرفهم باسمائهم واحدا واحدا هؤلاء زعماء الحركة المعادية للشيوعية، وليس عليهم نعتمد حين نتحدث عن وحدة عمل الطبقة العاملة. ان انصار السلام والتقدم الاجتماعي هم الذين يؤلفون الاغلبية في صفوف الاحزاب الاشتراكية-الديموقراطية، رغم انهم يتصورون الطريق نحو هذا التقدم على غير ما نتصورها نحن الشيوعيين. وفي النضال ضد الرجعية والفاشستية على وجه الضبط، ينبغي للشيوعيين والاشتراكيين-الديموقراطيين ان يجدوا لغة مشتركة. ولقد حان لممثلي جميع تيارات الحركة العمالية ان ينحوا المهرجين بمكافحة الشيوعية، وان يجلسوا الى الطاولة نفسها، ويضعوا نهجا يقره الجميع للاعمال المشتركة التي

تقوم بها الطبقة العاملة دفاعا عن مصالحها، ودفاعا عن السلام.

(في الارقام التوجيهية لتطوير الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي لاعوام ١٩٥٩-١٩٦٥. المؤتمر الحادي والعشرون الاستثنائي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ص ٨٦-٨٧)

واثبتت تجربة السنوات الاخيرة من جديد ان كل ما حصل عليه الشغيلة من نجاحات كان نتيجة الاعمال المشتركة. وبالرغم من هذا لا تزال صفوف الطبقة العاملة منشقة نظرا لتأثير النشاط التخريبي لزعماء الاشتراكية الديموقراطية اليمينيين الذين يبذلون طاقتهم وما فوق طاقتهم لاخراج احزابهم والطبقة العاملة من حلبة النضال ضد الرأسمالية. ان زعماء الاشتراكيين اليمينيين وكثيرين من الزعماء النقابيين قد خانوا منذ زمان بعيد مصالح الطبقة العاملة وهم يخدمون الرأسمال الاحتكاري باخلاص. ولكن بين الافراد العاديين من الاشتراكيين-الديموقراطيين، وبين الموظفين وحتى في قسم من القيادة، يوجد كثير من الناس الشرفاء الراغبين رغبة صادقة في الاشتراك في النضال العام من اجل مصالح الطبقة العاملة. وهم في الاونة الاخيرة يقفون بنشاط متزايد ابدا في وجه سياسة الزعماء اليمينيين.

ولهذا فان الشيوعيين، اذ يواصلون فضح التهافت

الفكري والاعمال الانشقاقية لرجال الاشتراكية-الديموقراطية اليمينيين، يريدون ان يتعاونوا في الوقت نفسه مع كل القوى السليمة بين الاشتراكيين وان يدخلوا معهم غمار النضال في سبيل السلام والديموقراطية والاشتراكية. وليس هذا شعارا تاكتيكيا موقتا، بل هونهج عام للحركة الشيوعية، تمليه المصالح الجذرية للطبقة العاملة.

(تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي امام المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ٣٣)

فقط توحيد جهود الطبقة العاملة والشغيلة سواء في داخل كل بلد ام على الصعيد العالمي، فقط الصلات الاممية العميقة بين العمال والشغيلة من جميع البلدان، في وسعهما ان يفضيا الى تحرير الشغيلة من العبودية الرأسمالية.

ان عبر التاريخ، ومنها عبر الحرب العالمية الاولى، تبين انه عندما افلحت البرجوازية في تسعير نار العداء القومي والشوفينية، تسبب هذا للشغيلة بضحايا وعذابات لا تحصى. ان البرجوازية والرجعية من مختلف البلدان كانتا تتحدان في نضالهما ضد الطبقة العاملة الثورية، ضد الشعب. خذوا كومونة باريس الشهيرة. من ساعد الجلاد تيير على قمع الكومونة؟ لقد ساعدته نفس الزمرة

العسكرية الالمانية التي حارب الفرنسيون ضدها للتو. او خذوا مثلا آخر، عندما عصفت الانتفاضة في المجر عام ١٨٤٨ برئاسة كوشوت. فرغم ان العلاقات بين النمسا ـ المجر وروسيا كانت متوترة في تلك المرحلة، دفع الامبراطور الروسي على الفور قواته الى مساعدة الامبراطور النمساوي فرانسوا ـ جوزيف. لماذا فعل هذا؟ لقد خشي من الثورة البادئة في المجر ان تنتقل الى بطرسبورغ.

والامثلة كهذه كثيرة. وبودي ان اورد ايضا منها تلك التي لا تزال طرية في ذاكرة الشعوب. عندما استولى الفاشيست الالمان على بولونيا، ابادوا الطليعيين من العمال والفلاحين والمثقفين، ولكن الثري البولوني المعروف الكونت بوتوتسكي وغيره من ظالمي الشعب البولوني عاشوا عيشة طيبة جدا في ظل الفاشيستية. كان هذا الكونت يستقبل بكل ترحاب في قصره الزعماء النازيين وكان هؤلاء بدورهم يعنون بالكونت بوتوتسكي. وعندما تراجع الغزاة الهتلريون تحت ضربات الجيش السوفييتي والجيش البولوني، عنوا بان يفر الكونت بوتوتسكي بنفسه ويأخذ معه القيم الثمينة التي نهبها من الشعب البولوني. وهذا يبين الجوهر الطبقي للنضال. وهذا يشهد على ان الكونت بوتوتسكي كان يشعر بان حالته ممتازة في الوقت الذي كان المحتلون الفاشيست يسودون في بولونيا ويبيدون زهرة الشعب البولوني.

او خذوا فرنسا. عندما احتل الفاشيست هذا البلد، تعاون الماريشال بيتان، الذي كان يفصح عن مصالح

البرجوازية الكبرى، والذي امسى رئيسا لفرنسا اثناء احتلال الالمان لها، تعاون هذا الماريشال بحمية مع الهتلريين، ألد اعداء الشعب الفرنسي. وفي الوقت نفسه، اعدم بيتان بالرصاص الطليعيين من العمال والمثقفين، زهرة الامة الفرنسية.

ولكن اذا كانت البرجوازية تتحد في النضال ضد العمال، واذا كانت لا تنفر من استخدام جميع الوسائل، ايا كانت، في النضال ضد البروليتاريا الثورية، فبالاحرى ان يكون من الضروري للعمال ان يتحدوا، لأن الطبقة العاملة المتحدة هي وحدها التي تستطيع ان تذود بنجاح عن مصالحها الطبقية. وهذا ما يعلمه ماركس وانجلس ولينين، وهذا ما تعلمه كل تجربة النضال الثوري الذي يخوضه الشغيلة من اجل تحررهم.

(كلمة في الاجتماع الحاشد لشغيلة موسكو ومقاطعة موسكو تكريما لعودة الوفد الحزبي الحكومي السوفييتي من بولونيا، ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٩. مجموعة «عالم بلا اسلحة، عالم بلا حروب»، المجلد الاول، ص ص ٤٨٢-٤٨٣)

ان الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي وجميع شغيلة بلادنا يبدون على الدوام تضامنهم مع اخوتهم في الطبقة في البلدان الرأسمالية، ويعطفون عميق العطف على نضالهم البطولي. وهم يؤيدون كليا الجهود الكبيرة التي يبذلها الاتحاد النقابي العالمي لكي تناضل الطبقة العاملة بنشاط

متزايد ابدا ضد نير الاحتكارات. النضال الطبقي، لا مصالحة بين الطبقة العاملة ومنظماتها وبين المستثمرين، هذا هو المبدأ العظيم للحركة البروليتارية، وأهم شرط لنجاحاتها الجديدة.

لأجل نجاح الحركة العمالية، كما اشير بحق في مؤتمركم، يتسم باهمية من الدرجة الاولى تأمين وحدة العمل بين جميع فصائل الطبقة العاملة. والآن، وقوى الرجعية تتحد على النطاق العالمي، لكي تخنق كل ما هو تقدمي وطليعي، يكون من الخطأ الذي لا اصلاح له اذا ما انكمشت الحركة العمالية ضمن اطارات قومية ونقابية واذا لم تعارض الجبهة العالمية للرجعية بجبهة جبارة للحركة العمالية.

ان النقابات بوصفها منظمات لاحزبية جماهيرية للطبقة العاملة توحد الشغيلة من مختلف العقائد السياسية والدينية. وهذا ما يوفر امكانيات واسعة لوحدة العمل بين النقابات ولتعاونها العملي في النضال من اجل مصالح الشغيلة الطبقية. فواضح ان جميع الذين يشغلون مواقف طبقية مشتركة سيجدون دائما لغة مشتركة للتخاطب فيما بينهم، وبرنامجا مشتركا وشكلا مقبولا لوحدة العمل. لقد آن الاوان لممثلي مختلف المنظمات النقابية ان يجلسوا الى طاولة واحدة ويعينوا برنامجا للنضال في سبيل مصالح العمال، للنضال ضد خطر الحرب، في سبيل السلام والحقوق الحيوية والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي. فعند الطبقة العاملة في جميع البلدان مصالح واحدة وهدف واحد، وجميع العمال اخوة. ان الشعار الكفاحي القائل «يا عمال

العالم اتحدوا!» يدل على الطريق الامين الى تحقيق المثل العليا للطبقة العاملة.

(خطاب في مؤتمر النقابات العالمي الخامس. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد ٢، ص ص ٣٢٧-٣٢٨)

في سبيل رص الحركة الشيوعية باطراد على مبادئ الماركسية - اللينينية

ان الشيوعيين يدركون جيد الادراك اي مسؤولية تاريخية اخذوها على عاتقهم امام الشعوب، واي مهمات عظيمة يطرحها التاريخ امامهم. وينبغي لنا، لكي نؤدي رسالتنا، ان نمضي قدما، ماسكين ايدي بعضنا بعضا بشدة، وان نرفع عاليا راية الاممية البروليتارية.

ولكي تكتسب البلدان الاشتراكية وحركة الشعوب المتحررة، وجهود جميع الناس التقدميين في العالم المزيد من القوة، ينبغي للطبقة العاملة في جميع بلدان العالم ان ترص صفوفها بمزيد من الوثوق تحت الشعار الخالد: «يا عمال العالم اتحدوا!»

ومن الضروري النضال بحزم ضد تفرقة القوى الثورية، مهما كان الشكل الذي تجري به هذه التفرقة.

ان التمييز اللاطبقي حسب القارات او حسب لون البشرة او حسب علائم اخرى، لا يعني توحيد قوى الطبقة العاملة والشغيلة من جميع البلدان، بل تفرقة صفوفهم. وهذا التمييز يضعف القوى الثورية ويساعد اعداء الثورة

على التنكيل بالشغيلة. وهذا المبدأ يناسب الاستعماريين لأنه يصب الماء في طاحونتهم ويساعدهم على تنفيذ قانونهم الوحشي «فرق تسد!»

نحن جميعنا نعرف جيدا ان الاستعماريين ينامون ويرون في منامهم ما العمل لزعزعة وحدة الحركة الشيوعية ولحمة بلدان النظام الاشتراكي العالمي. واكثر فاكثر يدرك الاستعماريون انهم عاجزون عن قهر البلدان الاشتراكية عن طريق الحرب. وقد بدأوا يفهمون انهم لن يحرزوا كذلك النصر علينا في المباراة الاقتصادية السلمية بين النظامين. ولهذا يبنون آمالهم الآن على انشقاق الرابطة الاشتراكية وعموم الحركة الشيوعية العالمية.

في الآونة الاخيرة، تعالت نغمة جديدة في الجوقة الشريرة من اعداء الشيوعية. فان بعض ستراتيجيي الغرب ينطلقون من ان التناقضات الداخلية بين البلدان الاشتراكية ستشتد بقدر ما تتعاظم قواها. ان الاستعماريين، كما ترون، يعللون النفس بانبثاق تناقضات مستعصية بين البلدان الاشتراكية بقدر ما ينمو اقتصادها وجبروتها. وهم، على ما يبدو، يريدون ان يقيسوا عالم الاشتراكية بمقياسهم.

ان الاستعماريين، اذ يبنون حساباتهم على تفرقة البلدان الاشتراكية، يعلقون آمالهم خاصة على انعاش الاوهام القومية الباقية ارثا عن العالم القديم. فيجب علينا ان نقول صراحة لاعداء الاشتراكية: وعلى هذا الحصان ايضا، لن تمضوا بعيدا ايها السادة!

وهذه المكائد من جانب اعداء الاشتراكية انما

9*

يعارضها الشيوعيون بسياسة اممية منسجمة. ففي العلاقات بين بلدان الاشتراكية يتمسكون بصلابة بمبادئ المساواة في الحقوق واحترام السيادة الوطنية، ويأخذون بالحسبان الدقيق خصائص كل بلد ومصالحه الوطنية. كذلك الاحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية، امانة منها للتضامن الاممي في الحركة البروليتارية، تنطلق في سياستها لا من مصالح بلدانها وحسب، بل ايضا من مصالح النظام الاشتراكي كله، وتقوي الصداقة والتعاضد والتعاون.

لقد علمنا لينين فهم المبادئ السامية للاممية البروليتارية فهما عميقا وتطبيقها بانسجام، وعلمنا النضال بلا هوادة ضد جميع ظاهرات التعصب القومي ايا كانت.

ان الحياة تبين ان التعصب القومي قد يكون واحدا من مصادر النظرات التحريفية والنظرات العقائدية الجامدة. ولهذا يناضل الشيوعيون بانسجام ضد اي انحراف عن النظرية الماركسية-اللينينية، سواء ضد الانتهازية اليمينية ام ضد الانتهازية «اليسارية»، وذلك توطيدا لوحدة صفوف الحركة الشيوعية وتقوية لتأثيرها في كل مجرى التطور العالمي.

ومهمتنا المشتركة ان نرص باطراد ونرسخ بجميع الوسائل وحدة الحركة الشيوعية والعمالية العالمية على اساس المذهب الماركسي-اللينيني.

(كلمة في الاجتماع الحاشد للصداقة بين شعبي الاتحاد السوفييتي وجمهورية كوبا.
٢٣ ايار (مايو) ١٩٦٣. «البرافدا»،
٢٤ ايار ١٩٦٣)

ايها الرفاق، ان النضال بين قوى الشيوعيين وجميع القوى الشعبية من جهة، وقوى الاستعمار من جهة اخرى، يدخل مرحلة جديدة. وفي هذه الظروف، يكتسب تلاحم صفوف المعسكر الاشتراكي وعموم الحركة الشيوعية العالمية اهمية من الدرجة الاولى. ان تلاحمنا على مبادئ الماركسية-اللينينية والاممية البروليتارية انما هو الشرط الرئيسي لانتصار الطبقة العاملة على الاستعمار. وانها لمقدسة بالنسبة لنا وصية لينين العظيم: يجب علينا ان نمضي قدما ماسكين ايدي بعضنا بعضا بشدة. ان وحدة صفوفنا تزيد قوى الشيوعية عشر مرات. التلاحم والتلاحم ومرة اخرى التلاحم، ذلك هو قانون الحركة الشيوعية العالمية.

ومن جوهر اللينينية ذاته ينجم انه يترتب على كل حزب ماركسي-لينيني ان يحول سواء في صفوفه ام في الحركة الشيوعية العالمية دون اي تصرفات قد تقوض وحدة هذه الحركة ولحمتها.

ان الهدف المشترك من نضال جميع الشيوعيين في العالم يتطلب، كما في السابق، وحدة ارادة واعمال الاحزاب الشيوعية من جميع البلدان. ولقد اسهم الاجتماع بقسط كبير في قضية رص الحركة الشيوعية العالمية باطراد، وذلك عندما اعلن، بما يتفق مع المذهب اللينيني كامل الاتفاق، ان الاحزاب الشيوعية ستعزز بجميع الوسائل وحدة صفوفها ووحدة الحركة الشيوعية العالمية كلها. جاء في التصريح قوله:

«ان مصالح النضال من اجل قضية الطبقة العاملة تقتضي تلاحما اكبر فاكبر في صفوف كل حزب شيوعي وفي صفوف جيش الشيوعيين العظيم من جميع البلدان، ووحدة ارادتهم واعمالهم. ان العناية بتعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية على الدوام هي اسمى واجب اممي على كل حزب ماركسي-لينيني.

ان الدفاع الحازم عن وحدة الحركة الشيوعية العالمية على اساس مبادئ الماركسية-اللينينية والاممية البروليتارية، والحيلولة دون اي تصرفات قد تقوض هذه الوحدة، هما شرط الزامي لاحراز النصر في النضال من اجل الاستقلال الوطني والديموقراطية والسلام، من اجل النجاح في حل مهام الثورة الاشتراكية وبناء الاشتراكية والشيوعية. ان انتهاك هذه المبادئ من شأنه ان يؤول الى اضعاف قوى الشيوعية».

تجدر الاشارة الى ان وفد الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي عرض في الاجتماع وجهة نظره بصدد الصيغة القائلة ان الاتحاد السوفييتي يقف على رأس المعسكر الاشتراكي وان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي يقف على رأس الحركة الشيوعية. فقد صرح وفدنا اننا في هذه الصيغة نرى قبل كل شيء تقديرا ساميا لمآثر حزبنا الذي انشأه لينين، واعرب وفدنا عن شكره القلبي لجميع الاحزاب الشقيقة. ان حزبنا الذي رباه لينين قد اعتبر على الدوام ان واجبه الاولي اداء التزاماته الاممية امام الطبقة العاملة العالمية. واكد الوفد للمشتركين في الاجتماع ان حزبنا سوف يحمل عاليا، في المستقبل ايضا، راية الامية

البروليتارية ولن يبخل بالقوى لأجل اداء التزاماته الاممية.

وفي الوقت نفسه، اقترح وفد الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي عدم ادراج الصيغة المعنية في التصريح وغيره من وثائق الحركة الشيوعية.

ففيما يخص مبادئ العلاقات بين الاحزاب الشقيقة، اعرب الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي بكل وضوح عن موقفه من هذه المسألة، في مؤتمر الحزب الحادي والعشرين. فمن على منبر المؤتمر، صرحنا امام العالم كله ان المساواة التامة في الحقوق والتضامن بين جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية وجميع البلدان الاشتراكية كانا ولا يزالان قائمين سواء في الحركة الشيوعية ام في المعسكر الاشتراكي. وفعلا، لا يقود الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي الاحزاب الاخرى. وليس في الحركة الشيوعية احزاب «رئيسة» واحزاب «مرؤوسة». ان جميع الاحزاب الشيوعية متساوية ومستقلة، وجميعها تتحمل المسؤولية عن مصير الحركة الشيوعية، عن انتصاراتها واخفاقاتها. وكل حزب شيوعي او عمالي مسؤول امام الطبقة العاملة والشغيلة في بلده، وامام عموم الحركة العمالية والشيوعية العالمية.

ان دور الاتحاد السوفييتي لا يتقوم في قيادة البلدان الاشتراكية الاخرى، بل في انه كان اول بلد شق الطريق الى الاشتراكية، في كونه اقوى بلد في النظام الاشتراكي العالمي، في كونه كدس تجربة ايجابية كبيرة في النضال من اجل

بناء الاشتراكية، في كونه اول بلد دخل مرحلة بناء الشيوعية على نطاق واسع. ولقد اشير في التصريح الى ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، بوصفه اوفر فصائل الحركة الشيوعية العالمية تجربة وتمرسا، قد كان وسيظل طليعة للحركة الشيوعية العالمية يعترف بها الجميع.

وفي الوقت الحاضر، اذ توجد مجموعة كبيرة من البلدان الاشتراكية تواجه كلا منها مهامه، واذ يعمل ٨٧ حزبا شيوعيا وعماليا تواجه ايضا كلا منها مهامه، يستحيل تحقيق قيادة البلدان الاشتراكية والاحزاب الشيوعية من مركز ما. ان هذا مستحيل، ناهيك بان لا حاجة اليه. ففي الاحزاب الشيوعية، نمت ملاكات ماركسية -لينينية متمرسة قادرة على قيادة احزابها وبلدانها.

ثم ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، كما هو معروف جيدا، لا يعطي فعلا اي توجيهات لأي حزب آخر. اما انهم سيسموننا «بالرأس»، فان هذا لن يضفي على حزبنا ولا على الاحزاب الاخرى اي مزايا، بل انه بالعكس لا يخلق الا المصاعب.

وقد وافقت الاحزاب الشقيقة، كما يتضح من نص التصريح، على براهين وفدنا. قد يبرز السؤال التالي: أفلن يضعف لحمتنا العالمية كون التصريح لا يورد الموضوعة المذكورة؟ كلا، لن يضعفها. ففي الوقت الحاضر، لا يوجد نظام داخلي يضبط العلاقات بين الاحزاب، ولكن لدينا، بالمقابل، الايديولوجية الماركسية-اللينينية المشتركة، والايمان بها هو الشرط الرئيسي لتضامننا ووحدتنا. يجب

الاسترشاد بدأب وانسجام بمذهب ماركس-انجلس-لينين، وتطبيق مبادئ الماركسية-اللينينية بالحاح، وآنذاك، ستتوطد ابدا ودائما قضية تلاحم الحركة الشيوعية العالمي...

لقد تبادل ممثلو الاحزاب الشيوعية والعمالية الآراء في مسائل الوضع الدولي الراهن وتباحثوا في القضايا الناضجة من قضايا الحركة الشيوعية والعمالية، او «ضبطنا ساعاتنا»، كما عبّر الرفاق بصورة مجازية في الاجتماع. وبالفعل، ينبغي للبلدان الاشتراكية والاحزاب الشيوعية ان تضبط ساعاتها، فاذا كانت ساعة احدهم تركض او تتاخر، ضبطها لكي تدور على نحو صحيح. هكذا يجب ايضا ضبط الوقت في الحركة الشيوعية، لكي يسير جيشنا القوي بخطى مضبوطة، لكي يمضي بخطوات واثقة نحو الشيوعية. وان الماركسية-اللينينية، والوثائق الموضوعة بصورة مشتركة في الاجتماعات الشيوعية العالمية، انما هي بالنسبة لنا بمثابة ساعة البرج، اذا امكن التعبير بهذه الصورة المجازية.

بعد ان وضعت جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية القرارات بالاجماع في الاجتماع، سيتمسك كل حزب في كل نشاطه بهذه القرارات تمسكا مفعما بالقداسة والدقة.

ايها الرفاق! ان اهمية الاجتماع تتلخص في كون المشتركين فيها قد شعروا بان حالهم احسن وبانهم اوفر قوة واشد ثقة، وفي كون الملحمة العظمى، ملحمة نضال

جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية قد تكشفت امامهم على نطاق اوسع. وكل هذا ييسر تلاحم الحركة الشيوعية العالمية. ان كلا من الاحزاب الشقيقة قد استمد من الندوة العالمية الثقة بانتصار قضيتنا المشتركة، ولهذا اهمية هائلة بالنسبة لتعزيز عموم الحركة الشيوعية العالمية.

ان وحدة صفوف كل حزب شيوعي ووحدة جميع الاحزاب الشيوعية انما هي بالذات الحركة الشيوعية العالمية الموحدة الرامية الى بلوغ هدفنا المشترك: انتصار الشيوعية في العالم اجمع. والرئيسي المطلوب الآن من جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية، انما هو ترسيخ وحدة صفوفها ولحمتها بجميع الوسائل وبالحاح. ان وحدة صفوف الحركة الشيوعية في الظروف الراهنة تكتسب اهمية كبيرة خاصة. وهذا مشروط بالمهام التاريخية العالمية التي ينبغي للحركة الشيوعية ان تحلها في الوقت الحاضر.

وباسم الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي أكد وفدنا للمشتركين في الاجتماع اننا سنعمل من جهتنا كل شيء لكي نشد اكثر من ذي قبل العرى الاخوية الوثيقة مع جميع الاحزاب الشيوعية. وان حزبنا سيفعل كل شيء لكي يزداد المعسكر الاشتراكي متانة، لكي تزداد الجبهة الشيوعية العالمية متانة.

ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي مفعم عزما ثابتا على تعزيز الوحدة والصداقة مع جميع الاحزاب الشقيقة في البلدان الاشتراكية، مع الاحزاب الماركسية-اللينينية في العالم كله. وبهذا الصدد، اود ان اتحدث عن

سعينا الدائب الى تشديد عرى الصداقة الاخوية مع الحزب الشيوعي الصيني، مع الشعب الصيني العظيم. فان حزبنا يسترشد دائما في علاقاته مع الحزب الشيوعي الصيني بكون الصداقة بين الشعبين الكبيرين واللحمة بين حزبينا اللذين هما اكبر حزبين في الحركة الشيوعية العالمية تتسمان باهمية خارقة في النضال من اجل انتصار قضيتنا المشتركة. ولقد بذل حزبنا على الدوام وسوف يبذل قصارى الجهد من اجل تعزيز هذه الصداقة العظيمة. ومع الصين الشعبية والشيوعيين الصينيين، كما مع شيوعيي جميع البلدان، لنا هدف واحد: تأمين السلام وبناء الشيوعية، ولنا مصالح مشتركة: سعادة اناس العمل وخيرهم، ولنا اساس صلب مبدئي مشترك: الماركسية-اللينينية.

ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، والسوفييتيين سيفعلون كل شيء لكي تزداد الوحدة بين حزبينا وشعبينا متانة اكثر فاكثر، لكي لا يصاب الاعداء بالخيبة وحسب، بل ايضا لكي نذهلهم اكثر من ذي قبل بوحدتنا، ونحقق هدفنا العظيم: انتصار الشيوعية.

ايها الرفاق! نحن نعيش في زمن رائع. لقد غدت الشيوعية قوة لا تقهر في عصرنا. ان نجاحات الشيوعية لاحقا رهن، الى حد كبير جدا، بارادتنا ووحدتنا وبصيرتنا وعزمنا. وان الشيوعيين والطبقة العاملة سيتوصلون بنضالهم وعملهم الى تحقيق الاهداف العظمى للشيوعيـــة على الارض.

ان أناس المستقبل، وشيوعيي الاجيال المقبلة سيغارون منا، وسيعودون دائما بالفكر الى ايامنا، اذ تدوي

بقوة خاصة هذه الكلمات من النشيد الحزبي: «سنبني عالما جديدا يكون عالمنا، ومن كان لا شيء سيصبح كل شيء!»

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٥٩-٦٢،٦٤-٦٦)

ان أهم شرط لنجاحاتنا في النضال من اجل السلام والاشتراكية في العالم بأسره، هو تعزيز وحدة صفوف الحركة الشيوعية العالمية. يجب على جميع الشيوعيين ان يدركوا بوضوح الاهمية الكبرى التي يرتديها اتحاد القوى الثورية على الصعيد العالمي والتضامن بين جميع فصائل حركتنا.

في اساس وحدتنا، تقوم ايديولوجية مشتركة هي الماركسية-اللينينية، ومبادئ الاممية البروليتارية. والرئيسي الذي يرصنا، انما هو وحدة المصالح الطبقية للبروليتاريا في جميع البلدان، مصالح جميع الكادحين، والفهم الصحيح، الماركسي-اللينيني للمهام العالمية التي تواجه الطبقة العاملة، والأيمان العميق بصحة قضيتنا العظيمة وحتمية انتصار الاشتراكية على النطاق العالمي.

وواجبنا ان نرص جميع القوى الثورية، ونمرس الحركة الشيوعية ونسلحها فكريا. ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي يتمسك بشدة بالخطة المشتركة المتفق عليها للحركة الشيوعية العالمية. وقد وقف وسيقف على النهج الذي صاغه ممثلو الاحزاب الماركسية-اللينينية في اجتماعي عام ١٩٥٧ وعام ١٩٦٠.

وبديهي انه ليس من المستبعد ان يظهر عند شيوعيي مختلف البلدان فهم مختلف لبعض المسائل وحتى لمسائل هامة جدا. ان المذهب الماركسي-اللينيني قد غدا بالنسبة لثلث الانسانية واقعا في حياة الشعوب. فان اكثر من مليار نسمة يبنون حياة جديدة، ويحرزون نتائج رائعة في بناء الاشتراكية.

ان بلدان نظام الاشتراكية العالمي تجد نفسها في مراحل مختلفة من بناء المجتمع الجديد. كذلك ليست تجربتها واحدة تماما في تطوير العلاقات مع العالم الخارجي. كل هذا يفسح المجال لظهور موقف مختلف من بعض القضايا. ورغم ان هذه ليست ظاهرة مستطابة جدا، الا انه ينبغي اخذها بالحسبان بوصفها واقعا حقيقيا.

قد تنبثق الخلافات، وهي تنبثق في الحياة، ولكنه لا يجوز ان ننسى ان الخلافات الناشئة بين الاحزاب الشيوعية والعمالية ليست اكثر من حدث موقت بينا العلاقات بين الشعوب في البلدان الاشتراكية تقام منذ الآن الى الابد. ولهذا لا يمكن ولا يجب بناء العلاقات بين الاحزاب الشقيقة، وبالاحرى بين الدول الاشتراكية التي ترتكز على وحدة النظام الاقتصادي الاجتماعي وتضع نصب عيونها مهمة بناء الشيوعية، الا انطلاقا من الرئيسي الذي يوحدنا. وكل الباقي يتسم، في آخر الحساب، باهمية جزئية بالقياس الى هذا.

ولهذا، عندما تنشأ الخلافات، لا يجوز الاستسلام للاهواء. انما ينبغي التحلي بالصبر، والنظر، كما يقال، الى الجذور، ومعرفة رؤية الرئيسي ولا اكثر. والرئيسي

بالنسبة للاحزاب الشقيقة، وخاصة بالنسبة لاحزاب البلدان الاشتراكية، هو القضية المشتركة التي يناضلون في سبيلها: بناء الاشتراكية والشيوعية.

واذا كانت الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الرأسمالية تخوض النضال ضد الرأسمال داخل بلدانها وتخوضه على اساس رص الطبقة العاملة والشعب الكادح كله، وتهييء في هذا النضال انتصار العمل على الرأسمال، فان القسط العملي الذي تسهم به الاحزاب الشيوعية في البلدان الاشتراكية في تطوير الماركسية-اللينينية يتقوم في كونها تبين عمليا المزايا التي تمنحها للشعب الاشتراكية التي تبنى على اساس النظرية الماركسية-اللينينية، في كونها تبني المجتمع الاشتراكي بنجاح. ان بناء الاشتراكية بنجاح في كل من البلدان الاشتراكية يعزز عموم النظام الاشتراكي العالمي الذي يعارض الدول الاستعمارية.

ومن مثال بلدان الاشتراكية، تتوافر للطبقة العاملة في العالم اجمع امكانية الاقتناع بمدى النجاحات التي يستطيع الكادحون احرازها متى اسقطوا المستثمرين واقاموا سلطة العمل في دولهم. ان سيرنا الناجح في بناء الاشتراكية والشيوعية يقرب ويعجل انتصار الطبقة العاملة العالمية النهائي في النضال ضد المستثمرين.

يجب ان ندرك ونقدر كل هذا بصورة صحيحة ونمتنع عن اظهار الذاتية لدن الخلافات في هذه القضايا او تلك.

فاذا ظهر خلاف بيننا في قضايا ايديولوجية ما، وربما حتى في قضايا هامة نسبيا، فمن الضروري لنا ان نسعى الى فهم هذه القضايا فهما صحيحا. وفي هذه الحال،

ينبغي لنا ألا نقع في التطرف ونفسح المجال للذاتية في تقدير الوضع العام في هذا البلد او ذاك. فلا يجوز، مثلا، تعريف طابع النظام السياسي في هذا البلد الاشتراكي او ذاك استنادا فقط الى نظرات خاطئة تفوقت هناك عند القادة لفترة من الزمن. فالعوامل الموضوعية لا الذاتية هي التي يجب ان تكون العلامة الاساسية. وهذه، قبل كل شيء، مسألة معرفة من يملك وسائل الانتاج، من يقبض على زمام السلطة، وفي اي سبيل تتطور الدولة.

فاذا اختلفنا في بعض المسائل، وتخاصمنا، واعلنا على الفور ان البلد الاشتراكي الذي قادته غير موافقين معنا في شيء ما، ليس اشتراكيا، فان هذا سيكون الذاتية الحقيقية البحتة. ويحصل كما في الاوساط الكنسية: اذا انقطع المرء عن ايفاء النذور واداء الطقوس، حرموه من الكنيسة، حكموا عليه بالحرم. ونحن لا يليق بنا التشبه بالكنسيين والانشغال «بالحرم» من الاشتراكية.

هناك مثلا خلافات بيننا وبين يوغوسلافيا في بعض القضايا ذات الطابع الايديولوجي، ولكنه لا يجوز على هذا الاساس وحده التاكيد بان هذا البلد ليس بلدا اشتراكيا. ولا يجوز سلوك هذا المسلك لأن العلائم الموضوعية والنظام القائم هناك اشتراكية. فان وسائل الانتاج في يوغوسلافيا والسلطة التي ظفرت بها شعوبها بفضل نضالها البطولي، تخص الشغيلة؛ وليس هناك ملاكون عقاريون واصحاب بنوك ورأسماليون. وشعوب يوغوسلافيا تناضل في سبيل بناء الاشتراكية والشيوعية. فما هي الاسس «لحرم»

يوغوسلافيا من الاشتراكية وفصلها من عداد الدول الاشتراكية؟

هناك خلافات كبيرة بيننا وبين قادة حزب العمل الالباني. فهل نعلن، انطلاقا من اعتبارات ذاتية، ان ألبانيا ليست بلدا اشتراكيا؟! ان موقفا كهذا موقف غير صحيح، موقف ذاتي. ومع ان القيادة الالبانية تبدي عدم تفهم لجملة من أهم القضايا ومع اننا نناضل ضد هذا، الا اننا نعتبر ان البانيا بلد اشتراكي وان شعبها ابدى بطولة حقيقية في النضال من اجل انتصار الاشتراكية.

عندما سرنا نحن الشيوعيين الى السلطة، وعدنا الطبقة العاملة وجميع الشغيلة بان نبني نظاما يضع حدا الى الابد لسيطرة امة على اخرى ويؤمن التقارب الحقيقي والوحدة الحقيقية بين الامم. وقد كتب لينين يقول: «ان العمال يعارضون العالم القديم، عالم الظلم القومي، عالم الشحناء القومية او العزلة القومية بالعالم الجديد، عالم وحدة الشغيلة من ابناء جميع الامم، بعالم لا يتسع لاي امتياز، لا يتسع لاقل ظلم لانسان من قبل انسان» *.

وعلى جهودنا، على فهم الاحزاب الشيوعية وقادتها مسؤوليتهم الكبرى امام الشعوب الفهم الصحيح، يتوقف مدى النجاح الذي سنحقق به وصايا لينين بصدد وحدة ولحمة شعوب البلدان الاشتراكية.

ينبغي ان نشيد صرح المجتمع الاشتراكي، لا على ساحة بناء مهيئة، بل على تربة ملأها المستثمرون بالاقذار

* لينين. المؤلفات، المجلد ١٩، ص ٧٢.

والعفاشة. وليس ثمة مسألة اعقد من مسألة العلاقات بين الامم. ان قرونا وآلاف السنين من سيطرة الطبقات المستثمرة قد جلبت الى هذه العلاقات من عدم الثقة، من النفور، من الحقد وعدم التساهل، من المرارة والاهانات بحيث لا بد من جهود عملاقية حقا لكي نحل خطوة خطوة، وبصبر والحاح، الكبب المعقدة في العلاقات بين الامم ونسهم في التقارب بين الشعوب لتؤلف اسرة متآخية واحدة.

وانتم تعرفون اي نجاحات هائلة احرزتها بلدان الاشتراكية في هذا الصدد وخاصة في السنوات الاخيرة بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. وبمبادرة من الاتحاد السوفييتي، ازال حزبنا الاخطاء التي اقترفت في العلاقــات بين البلدان الاشتراكية في عهد ستالين.

لقد اقترف ستالين اخطاء جدية في قضية القوميات لا في داخل بلادنا وحسب، بل ايضا في العلاقات مع بلدان الديموقراطية الشعبية. وان حزبنا، مثله مثل الاحزاب الماركسية-اللينينية الاخرى، قد سلط على عبادة شخص ستالين انتقادا صارما، واصلح الاخطاء التي ارتكبها ستالين. ونتيجة لهذا غدا الجو السياسي داخل الرابطة الاشتراكية انظف، والقضايا التي تمس مصالح البلدان الاشتراكية تحل على اساس تبادل الآراء، وبروح الديموقراطية والاممية البروليتارية. ان العلاقات بين بلدان الاشتراكية، الاقتصادية منها والسياسية والثقافية، قد ازدادت رسوخا وهي تتطور على مبادئ المساواة في الحقوق والنفع المتبادل والعون المتبادل.

ولقد تمسكنا بشدة ولا نزال نتمسك بالخطة المشتركة المتفق عليها في الحركة الشيوعية العالمية. ففي القضايا المبدئية المتعلقة بالنضال من اجل السلام والاشتراكية، لم نتراجع امام احد ولن نتراجع. ولقد ناضلنا وسوف نناضل ضد اي انحراف عن الماركسية-اللينينية: سواء ضد الانتهازية اليمينية ام ضد الانتهازية اليسارية، سواء ضد التحريفية ام ضد الجمود العقائدي والانعزالية. ونحن مقتنعون بانه لا يمكن الا عن طريق نضال كهذا التوصل الى تعزيز صفوفنا حقا وفعلا والوقوف موقفا خلاقا من حل قضايا الظرف الراهن الجذرية وتأمين نجاحات جديدة للحركة الشيوعية.

ولكن كل نضالنا يرمي الى المزيد من تعزيز وحدة الحركة الشيوعية على اساس الماركسية-اللينينية والتوصل الى تقوية نفوذها في العالم بأسره. وهذا النضال نخوضه من مواقع لينينية حقا، مسترشدين بالحرص على توسيع جبهة المناضلين ضد الاستعمار.

معلوم للجميع مدى الصبر ورباطة الجأش اللذين ابداهما حزبنا في علاقاته مع قادة حزب العمل الالباني. فرغم انهم منذ بادئ بدء، عندما ظهرت الخلافات، شغلوا موقفا عدائيا سافرا من الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، اخذنا المبادرة غير مرة، عارضين اجراء المفاوضات لأجل تسوية القضايا المتنازع عليها، ولكن القادة الالبان رفضوا جميع عروضنا هذه. ومضوا ابعد فابعد في طريق الارتداد عن الماركسية-اللينينية ومبادئ

الاممية البروليتارية، في طريق القطيعة مع الحركة الشيوعية العالمية.

ولكننا مستعدون اليوم ايضا لتكرار ما قلناه في تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي امام مؤتمر الحزب الثاني والعشرين: اذا كانت مصالح الشعب الالباني وقضية بناء الاشتراكية في البانيا عزيزة على القادة الالبانيين، واذا ارادوا الصداقة مع الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي، مع جميع الاحزاب الشقيقة، فانه ينبغي لهم ان يتخلوا عن نظراتهم الخاطئة ويعودوا الى طريق الوحدة والتعاون الوثيق في الاسرة الاخوية للرابطة الاشتراكية، الى طريق الوحدة مع عموم الحركة الشيوعية العالمية.

ان الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي يتبع وصايا لينين. فنحن مع بقائنا متصلبين في القضايا المبدئية المتعلقة بنظرية وتاكتيك الحركة الشيوعية، فعلنا وسنفعل كل شيء لاقناع الذين هم على خطأ او الذين اضاعوا الافق الواضح والفهم الواضح لمهام نضالنا في الوضع الراهن.

ان وحدة صفوف الشيوعية العالمية على اساس الماركسية-اللينينية انما هي قدس الاقداس بالنسبة لحزبنا، ونحن لن نألو جهدا من اجل توطيدها.

في العلاقات بين الاحزاب الشيوعية، من الضروري التحلي بالصبر، وعدم ابداء الذاتية في تقدير هذه الاحداث او تلك، والامتناع عن الدخول في مجادلات بين بعضنا بعضا لما فيه فرح اعدائنا الطبقيين. فمن وجهة نظرنا، ينبغي، عند تقدير الظاهرات، الانطلاق من الرئيسي: على اي مواقف

يقف هذا الحزب الشيوعي او ذاك في قضايا النضال من اجل انتصار الطبقة العاملة، من اجل انتصار الاشتراكية. وعلى احزاب البلدان حيث الشعوب تبني الاشتراكية، تبني الشيوعية، ان تتحلى باحتراس خاص في المجادلات. وواجبنا المشترك ألا نشتت القوى حيال المعسكر الاستعماري، بل بالعكس، ان نعزز هذه القوى بجميع الوسائل وعلى طول الجبهة: في الميدان الاقتصادي والميدان العسكري والميدان الايديولوجي والميدان السياسي.

لقد أثبت الواقع انه ينشأ عندنا احيانا فهم مختلف لقضايا تطور البلدان الداخلي. وفي هذا الصدد، تكوّنت عندنا في السنوات الاخيرة مواقف صحيحة الى هذا الحد او ذاك يقفها احدنا من الآخر وتكوّن الصبر، وتكوّن، اذا جاز القول، امتلاك النفس عن الوعظ وبالاحرى عن التدخل في شؤون البلدان الاخرى. وفي قضايا السياسة الخارجية، في القضايا المتعلقة بالحركة الشيوعية والعمالية العالمية، يظهر احيانا كذلك موقف مختلف من الاحداث وفهم مختلف لها. وفي هذه الحال، من الممكن، بالطبع، قيام خلاف معين في وجهات النظر، ومن الممكن قيام المجادلات الهادفة الى وضع خطة صحيحة متفق عليها. ولكنه ينبغي هنا بوجه خاص التحلي برباطة الجأش والصبر.

(كلمة في المؤتمر السادس للحزب الاشتراكي الالماني الموحد. ص ص ٣٩-٤٤)

لا يمكن دفع قضية الاشتراكية الى الامام بنجاح دون نضال حاسم ضد الانتهازية في الحركة الشيوعية والعمالية، دون نضال ضد التحريفية والجمود العقائدي والانعزالية.

انتم جميعكم تعرفون جيدا ان الحركة الشيوعية قد تعرضت منذ ثلاث سنوات لحملات مسعورة من جانب المحرفين وان الكلام تناول في بعض البلدان حياة او موت الاحزاب الثورية للطبقة العاملة. ففي الحزب الشيوعي في بلد كالولايات المتحدة الاميركية، كانت تعمل فرقة غيتس التحريفية، وفي الحزب الشيوعي الدانماركي، كانت فرقة لارسن تقوم بعمل تخريبي. كذلك شكل المحرفون خطرا جديا على بعض الاحزاب الشقيقة الاخرى. وبشعور من الارتياح العميق، تمكن الملاحظة ان القذارة التحريفية قد فضحت ونبذت من صفوف الاحزاب. ومن النضال ضد المحرفين خرجت الاحزاب الشيوعية اشد متانة وتمرسا، وقد حنكتها التجربة. ولقد شجبت الاحزاب الشيوعية بالاجماع النوع اليوغوسلافي من التحريفية المعاصرة.

ان النضال ضد التحريفية، ضد كل نوع من التراجع عن اللينينية لم يفقد من اهميته. وهو نضال في سبيل توطيد المعسكر الاشتراكي، في سبيل تطبيق مبادئ الماركسية-اللينينية بدأب وانسجام.

ولقد اشار لينين بما امتاز به من بصيرة، ان النضال ضد شر التعصب القومي، ضد اشد الاوهام القومية

البرجوازية الصغيرة تأصلا، «يبرز الى المقام الاول بقدر ما تصبح اكثر الحاحا مهمة تحويل ديكتاتورية البروليتاريا من ديكتاتورية وطنية (اي قائمة في بلد واحد وغير قادرة على ان تقرر السياسة العالمية) الى ديكتاتورية أممية (اي ديكتاتورية البروليتاريا القائمة في عدد من البلدان المتقدمة على الاقل، والقادرة على ان تكون ذات تأثير فاصل في كامل السياسة العالمية)» *.

ان النضال ضد التحريفية في جميع انواعها لا يزال في الوقت الحاضر ايضا مهمة كبيرة امام الاحزاب الشيوعية. فما دام النظام البرجوازي قائما، فان البيئة المغذية ستظل قائمة من اجل ايديولوجية التحريفية ايضا. ولهذا يجب علينا ان نحتفظ على الدوام بالبارود جافا وان نخوضه نضالا لا هوادة فيه ضد التحريفية التي تحاول ان تنتزع من الماركسية-اللينينية كنهها الثوري، وتزين الرأسمالية المعاصرة، وتقوض لحمة الحركة الشيوعية، وحصر الاحزاب الشيوعية في شقات قومية.

وهناك خطر آخر يتهدد الحركة الشيوعية، هو الجمود العقائدي والانعزالية. ففي الوقت الحاضر، اذ يقتضي الحال تلاحم جميع القوى لأجل النضال ضد الاستعمار، لأجل درء الحرب، لأجل الاطاحة بسلطان الاحتكارات الكلي، قد يتسبب الجمود العقائدي والانعزالية بضرر فادح لقضيتنا. ان اللينينية لا تسلّم بالجمود العقائدي. كتب لينين يقول:

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٣١، ص ١٢٦.

«... ينبغي استيعاب هذه الحقيقة التي لا جدال حولها وهي انه يترتب على الماركسي ان يحسب الحساب للحياة الحية، لوقائع **الواقع** الدقيقة، لا ان يواصل التمسك بنظرية الامس التي هي، ككل نظرية، لا تفعل، في احسن الاحوال، غير ان ترسم الاساسي، العام، غير ان **تقترب** من استيعاب تعقد الحياة» *.

ان الجمود العقائدي يغذي التيبس الانعزالي الذي يعرقل رص الطبقة العاملة وجميع القوى التقدمية حول الاحزاب الشيوعية. ان الجمود العقائدي والانعزالية لعلى تناقض مستحكم مع تطوير النظرية الثورية الخلاق ومع تطبيقها الخلاق في النشاط العملي، وهما يؤولان الى عزلة الشيوعيين عن فئات الكادحين الواسعة، ويحكمان عليهم بالانتظار السلبي او بالاعمال اليسارية المغامرة في النضال الثوري، ولا يتيحان استغلال جميع الامكانيات في مصلحة انتصار الطبقة العاملة وجميع القوى الديموقراطية.

ولقد اشير في التصريح الى ان الاحزاب الشيوعية ستخوضه في المستقبل ايضا نضالا حاسما على جبهتين: ضد التحريفية التي لا تزال الخطر الاساسي وضد الجمود العقائدي والانعزالية. ان الجمود العقائدي والانعزالية، اذا لم يقم ضدهما نضال متواصل، قد يصبحان ايضا الخطر الرئيسي في هذه المرحلة او تلك من مراحل تطور هذا الحزب او ذاك.

---

* لينين. المؤلفات، المجلد ٢٤، ص ٢٦.

ان الاحزاب الشيوعية والعمالية تعتبر من واجبها الاممي ان ترفع عاليا راية الماركسية-اللينينية الخلاقة بوصفها الشرط الحاسم لجميع انتصاراتنا الجديدة.

(في سبيل انتصارات جديدة للحركة الشيوعية العالمية. مجموعة «الشيوعية هي السلام والسعادة للشعوب»، المجلد الاول، ص ص ٥٧-٥٩)

في التلاحم، استحالة قهر الطبقة العاملة والاحزاب الشيوعية

لقد كان موقفنا ولا يزال انه لا يجوز التفرقة في «الشقات» الوطنية ولا ان ينعزل كل في قوقعته. اننا نرى من الضروري تعزيز قوة المعسكر الاشتراكي بكل الوسائل، والاستمرار في توطيد وحدة الحركة الشيوعية العالمية وفقا للمبادئ التي اقرتها جميع الاحزاب الشقيقة في بيان موسكو. فان العناية بتلاحم واشتداد صفوفنا هي الواجب الاممي الاسمى لكل حزب شيوعي وعمالي. **فنجاح الطبقة العاملة في قضيتها الوطنية لا يمكن تصوره دون التضامن الاممي بين جميع فصائلها.**

نحن متحدون، يوحدنا هدف كبير عام، هو هدف تحرير الانسانية الكادحة، يوحدنا النضال في سبيل السلام العام. وهمنا واحد، هو العناية بخير الشعوب وازدهارها وامنها، وبمستقبلها السعيد الذي لا يمكن بلوغه الا عن طريق الاشتراكية. نحن متحدون يوحدنا مذهب الماركسية-اللينينية العظيم والنضال في سبيل تطبيقه. واننا سنحرص دائما على ان يظل سلاح الماركسية-اللينينية الفكري سليما،

نظيفا وسنناضل ضد الانتهازيين والمحرفين من كل شاكلة وطراز، وسنبقى امناء للطبقة العاملة. في هذا نرى واجبنا الاممي ازاء الحركة الشيوعية والعمالية العالمية.

(في الارقام التوجيهية لتطوير الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفييتي لاعوام ١٩٥٩–١٩٦٥. المؤتمر الحادي والعشرون الاستثنائي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. المحضر الاختزالي، المجلد الاول، ص ٩٢–٩٣)

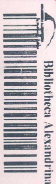
ان الاحزاب الشيوعية مدعوة الى توحيد الشعوب في النضال من اجل السلام والاشتراكية. ولهذا تسعى الاحزاب الشيوعية وراء الصلات الوثيقة فيما بينها، وراء وحدة الاعمال. وكل حزب هو، في الوقت نفسه، حزب مستقل تماما في الميدان السياسي والتنظيمي، ويعبر عن مصالح طبقته العاملة وشعبه الكادح ومصالح بلده الوطنية. ان المصالح الاممية والمصالح الوطنية للطبقة العاملة، كما لجميع الشغيلة، لا تتناقض، بل، بالعكس، تتلاقى بانسجام وتناسق. ولقد اعتبرت الاحزاب الشيوعية على الدوام امر تعزيز التضامن البروليتاري العالمي واجبها المقدس وناضلت بحزم ضد جميع المحاولات الرامية لاضعاف وحدة الحركة العمالية العالمية.

(اجوبة عن اسئلة هيئة تحرير «تريبونا لودو». ١٠ آذار (مارس) ١٩٥٨. مجموعة «نحو النصر في المباراة السلمية مع الرأسمالية»، ص ١١١)

... وفي العلاقات بين الاحزاب الشقيقة، يجب ان ندفع الى المرتبة الاولى القضايا التي توحدنا وتقوي الوحدة. ومن جهتنا، فعلنا وسنفعل كل شيء لكي تحل القضايا التي تبرز بين الاحزاب، بروح الرفاقية وعلى اساس مبادئ الماركسية-اللينينية والاممية البروليتارية. يجب على كل حزب ان يسهم بقسطه في قضية رص الحركة الشيوعية والعمالية، وتمتين وحدة البلدان الاشتراكية، وان يبحث هذه القضايا بفهم المسؤولية التي تقع على عاتق كل حزب عن لحمة ووحدة عموم الحركة الشيوعية والعمالية العالمية.

(عن رحلة الوفد الحزبي الحكومي السوفييتي الى جمهورية بلغاريا الشعبية. كلمة في الراديو والتلفزيون. ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٢. مجموعة «يجب درء الحرب وصيانة السلام!»، ص ١٢١)

محتويات


Bibliotheca Alexandrina
0632967